الإحالةُ الضّميريّةُ وأثرُها في التّماسكِ النّصّيّ في سورةِ الرَّحمنِ

The Pronoun Reference and its Effect on Textual Coherence in Surat Al-Rahman

حارث عادل محمد زيود[1] منذر عادل محمد زيود[2]
Hareth Adel Mohammad Zyoud[1] Munther adel mohammad zyoud[2]

DOI: 10.15849/ZJJHSS.220730.01

الملخّص

يتّصلُ عنوانُ هذه الدّراسةِ، أوِ البحثِ، بلسانيّاتِ النّصّ، في جانبٍ منْ جوانبِها، وهوَ مِعيارُ التّماسكِ النّصيّ، وهذا المعيارُ هوَ أحدُ مَعيارينَ، ونقصدُ بهما السّبكَ والحبكَ، يُسهمانِ إسهامًا فاعلًا، بلْ رئيسًا، في تشكيلِ نصّيّةِ النّصّ، وقدْ عَمَدَتْ هذهِ الدّراسةُ إلى أسلوبٍ منْ أساليبِ السّبكِ، أوِ التّماسكِ النّصّيّ؛ لِما لهُ منْ سُهمةٍ بالغةٍ في تشكيلِ نصّيّةِ النّصّ، وترابُطِ أجزائِهِ بعضِها ببعضٍ، ذلكم الأسلوبُ هو الإحالةُ الضّميريّةُ.

لقدْ وقفَ الباحثان على الإحالةِ الضّميريّةِ، في سورةِ الرّحمنِ، وبيّنَا أنواعَ الضّمائرِ فيها، ومناسبتَها لِلعناصرِ المُحيلةِ إليْها، وكانَا في كلِّ ذلكَ يربطان وظيفةَ هذهِ الضّمائرِ السّبكيّةَ والشّكليّةَ بِسياقِ النّصّ والمَقامِ، فأبانَ ذلكَ عنْ دَوْرِ الإحالةِ الضّميريّةِ في ترابُطِ النّصّ، إنْ سبكًا شكليًّا، وإنْ حبكًا دِلاليًّا.

الكلماتُ المِفتاحيّةُ: لِسانيّاتُ النّصّ، التّماسكُ النّصّيُّ، الإحالةُ الضّميريّةُ، الرّحمنُ.

Abstract

The title of this study, or research, relates to the linguistics of the text, in one aspect thereof: the criterion of textual coherence: one of two criteria which centrally contribute to the overall text formation. This study relied on a method of textual coherence; because it has a great contribution to the final shape of the text, and the interrelationship of its parts with each other: the pronoun reference. The researchers examined the pronoun reference in Surat Al-Rahman and showed the types of the pronouns therein, together with their relevance to the elements referred thereto, and in all of this, they linked the function of this formal and cohesional pronoun to the context of the text and the dominator. They demonstrated the role of pronoun reference in textual coherence and Semantic weaving.

Key Words: Linguistics of the Text, Textual Coherence, Pronoun Reference, Arrahmaan.

[1] نحو ولسانيات، وزارة التربية والتعليم.
[2] القرآن الكريم وعلومه، قسم تعليم التربية الإسلاميّة، كلية العلوم التربوية، جامعة القدس المفتوحة.
* للمراسلة: harzyoud@hotmail.com

تاريخ استلام البحث 2022/02/12.
تاريخ قبول البحث 2022/11/04.

[1]Syntax and Linguistics, The Ministry of Education.
[2] The Holy Quran and its sciences, Department of Teaching Islamic education, Faculty of Educational Sciences, Al-Quds Open University.

*** Corresponding author: harzyoud@hotmail.com**

Received: 12/02/2022.
Accepted: 04/11/2022.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

المقدّمة

حَظِيَتِ اللُّغةُ بِاهتمامٍ منْ لدن الباحثينَ الّذينَ حاولوا سبرَ أغوارِها، والإحاطةَ بِجميعِ أسرارِها، فذهبوا في ذلكَ مَذاهبَ شتّى مختلفةً، وتفرّقوا في تناولِهم لَها، وظهرَتْ كثيرٌ منَ المدارسِ الّتي تباينَتْ في طريقةِ تناوُلِها لِلظّاهرةِ اللُّغويّةِ، ولكنَّها لمْ تختلفْ في مقاصدِها وغاياتِها؛ فكلُّها تصبو إلى خدمةِ اللُّغةِ، وإثراءِ المعرفةِ الإنسانيّةِ.

وقدْ ظلَّتِ الجملةُ ردَحًا غيرَ يسيرٍ منَ الزّمنِ فحْوى الاهتمامِ، ومقصِدَ الدّراسةِ، عندَ جميعِ العلماءِ والباحثينَ على اختلافِهِمْ، وتنوّعِ مدارسِهمْ، وكانَتْ، أيِ: الجملةُ، الوَحدةَ الكُبرى في التّحليلِ اللُّغويّ، وتناولوها في الدّراسةِ منْ وُجوهٍ متعدّدةٍ.

لكنَّ هذا الاتّجاهَ منَ الدّرسِ، أيْ: درسِ الجملةِ، قدْ بدأَ يَخبو ويَتراجعُ، بعدْ أنْ بَدا قصورُ الجملةِ، وعدمُ قدرتِها على تفسيرِ كثيرٍ منَ الظّواهرِ اللُّغويّةِ، ومنْ هذا المُنطلَقِ، انطلَقَ الدّارسونَ يبحثونَ عنْ بديلٍ، حتّى استقرَّ رأيُهمْ على النّصّ، الّذي يمثّلُ النّواةَ الّتي انبثقَتْ على أساسِها نظريّةٌ معرفيّةٌ لسانيّةٌ جَديدةٌ، ظهرَتْ في سبعينيّاتِ القرنِ العشرينَ، ونَقْصِدُ بِها لسانيّاتِ النّصّ.

فلسانيّاتُ النّصّ تُعَدُّ منَ العلومِ اللُّغويّةِ الّتي كَثُرَ الاهتمامُ بِها في الوقتِ الحاضرِ، بعدْ أنْ تحوّلَتْ إلى علمٍ مُستقلٍّ، لَهُ أدواتُهُ، ومنهجُهُ، فهيَ، أيْ: لسانيّاتُ النّصّ، تفتحُ لِلباحثين آفاقًا واسعةً، في الدراساتِ النّصّيّةِ.

إذًا، فقدْ نَحا الدّرسُ اللُّغويُّ الحديثُ نَحْوَ دراساتٍ لسانيّةٍ نصّيّةٍ تتوافقُ والتّطوّرَ العِلميَّ في دراسةِ اللُّغةِ، وربطِها بِطُرقِ التّفكيرِ المألوفِ، وواقعِ الحياةِ البشريّةِ، فعليًّا لا نظريًّا، بِصورةٍ تتجاوزُ قراءاتِ النّصّ التّقليديّةَ، وأنماطَهُ التّحليليّةَ الموروثةَ؛ نظرًا لقُصورِ الدرّسِ البِنيويّ الجمليّ عنْ تفسيرِ عديدٍ منَ الظّواهرِ اللُّغويّةِ، فاتّجَهَ درسُ اللّسانيّاتِ اتّجاهًا آخرَ، حتّى اتّخذَ موقعًا جوهريًّا في الدّراساتِ اللُّغويّةِ الحديثةِ، وموضوعُ هذه الدّراساتِ هوَ التّماسكُ النّصّيُّ الّذي يتحقّقُ بوساطةِ السّبكِ والحبكِ، فهما العمودُ الفِقريُّ لِنَحْوِ النّصّ، أوْ لنقلْ: لِلتّماسكِ النّصّيّ، فلِلسانيّاتِ النّصّ الفضلُ الكبيرُ في ذلكَ التّحوّلِ منَ المستوى الضّيّقِ لِلجملةِ إلى مستوًى أرحبَ وأوسعَ، هو النّصُّ، وهذا المستوى الحديثُ يهتمُّ بِالنّظرِ في وسائلِ السّبكِ والحبكِ، أوِ الاتّساقِ والانسجامِ، منْ غيرِ إهمالٍ لِدَوْرِ السّياقِ، والمتلقّي، أيْ: متلقّي النّصّ والخِطابِ. فبعدَ أنْ كانَتِ الجملةُ هيَ الأساسَ، والوَحدةَ الكُبرى، والغايةَ القُصوى، في الدّراساتِ اللُّغويّةِ القديمةِ، ونقطةَ انطلاقِ الدّارسينَ، تَحَوَّلَ الأمرُ إلى الاهتمامِ بِدراسةِ النّصّ، بِوصفِهِ السّياقَ الأوْسعَ، والمضمارَ الأشْملَ والأوْفى، فلا يمكنُ دراسةُ المعنى منفصلًا عنْ سياقِهِ اللّسانيّ المتمثّلِ في النّصّ، منْ حيثُ بِنيتُهُ الدّاخليّةُ، ووَحَداتُهُ الجزيئيّةُ، وتفحّصُ مظاهرِ الاتّساقِ والانسجامِ فيهِ.[1]

وقضيّةُ التّماسكِ النّصّيّ منَ القضايا الّتي اهتمَّ بِها علمُ اللُّغةِ النّصّيّ؛ لِأنَّها تمثّلُ جانبًا أساسيًّا لِهذا العلمِ، والدّليلُ على أهميّةِ التّماسكِ النّصّيّ أنَّهُ "نالَ اهتمامًا كبيرًا منْ علماءِ النّصّ، بدايةً بتوضيحِ مفهومِهِ، ومُرورًا بِبيانِ

[1] ينظر: حشايشي، زهور، ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قدر حبه) لمحمد جربوعة، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2006، ص 1.

أدواتِهِ، أوْ وسائلِهِ، وعواملِهِ، وشروطِهِ، والسّياقِ المُحيطِ بِالنّصّ، وعَلاقتِهِ بِالنّصّ، وانتهاءً بوضعِ نماذجَ تحليليّةٍ توضّحُ هذهِ الأمورَ كلَّها".[1]

ولمّا تقرّرَ أنَّ لسانيّاتِ النّصّ مَدْخَلٌ مُهِمٌّ لِانسجامِ النّصوصِ وتماسكِها، إذِ انصبَّ اهتمامُ علمِ اللُّغةِ النّصّيّ على القواعدِ والمبادئِ الّتي تجعلُ منَ الحدثِ اللُّغويّ نصًّا مكتملَ النّصّيّةِ، فإنَّ النّصَّ القرآنيَّ هوَ أقدسُ النّصوصِ وأجلُّها؛ فهوَ معجزةُ اللهِ الخالدةُ، أحْكمَ نسجَهُ الخالقُ العظيمُ، فالنّصُّ القرآنيُّ أهمُّ النّصوصِ الّتي اتّسمَتْ بِالالتحامِ والانسجامِ، فهوُ معجزٌ في ترابطِهِ وتماسكِهِ؛ فلمّا كانَ ذلكَ، فقدْ آثرَ الباحثان أنْ يكونَ مِضمارُ البحثِ أُنموذجًا منَ القرآنِ الكريمِ، هوَ سورةُ الرّحمنِ، المُلقَّبَةُ بِعروسِ القرآنِ.

ولمّا كانَ النّصُّ هوَ نَواةَ اللّسانيّاتِ الحديثةِ، والتّماسكِ النّصّيّ، فلا حَيْدَ عنْ جلاءِ مفهومِهِ، فهوَ "عبارةٌ عنْ بِنيةٍ لسانيّةٍ تتآزرُ، منْ أجلِ بنائِها وتحقّقِها، عناصرُ، أوْ لِنقلْ، مكوّناتٌ مختلفةٌ، يضطلعُ كلُّ واحدٍ منْها بِوظيفةٍ داخلَ مجموعِ النّصّ، بحيثُ تُكوّنُ، معَ غيرِها، البِنيةَ الكلّيّةَ لِلنّصّ"،[2] أوْ هوَ "حدثٌ اتّصاليٌّ تتحقّقُ نصّيّتُهُ إذا اجتمعَتْ لَهُ معاييرُ سبعةٌ، وهيَ: الرّبطُ والتّماسكُ (الاتّساقُ)، والقصديّةُ، والمقبوليّةُ، والإخباريّةُ، والمَوْقِفِيَّةُ، والتّناصُّ"،[3] فالتّماسكُ، أوِ السّبكُ هوَ أحدُ الأركانِ الّتي تحقّقُ سِمةَ النّصّيّةِ لِلنّصّ، وبِهِ يكونُ التّوحيدُ بينَ عناصرِ النّصّ الظّاهرةِ والباطنةِ، ولعلَّ أشملَ تعريفٍ لهُ هوَ أنَّهُ: "تَعَلُّقُ عناصرِ النّصّ بعضِها بِبعضٍ، بِوساطةِ أدواتٍ شكليّةٍ، أوْ علاقاتٍ دِلاليّةٍ، تُسهمُ في الرّبطِ بينَ عناصرِ النّصّ الدّاخليّةِ، والنّصّ والبيئةِ المُحيطةِ منْ ناحيةٍ أخرى؛ لِتكونَ في النّهايةِ رسالةً يتلقّاها متلقٍّ، فيفهمُها، ويتفاعلُ معَها سلبًا وإيجابًا".[4]

ولمّا كانَتْ آليّاتُ التّماسكِ النّصّيّ، وأدواتُهُ كثيرةً، فإنَّ تناولَها جميعها تنوءُ بِهِ مثلُ هذهِ البحوثِ والدّراساتِ، أوْ لِنقل: المقالاتِ الصّغيرة، فالمرورُ عليْها جميعًا يناسبُ إعدادَ أطروحةٍ، لا مقالٍ صغيرٍ، لِذا؛ فقدْ يمّمَ البحث وجهَهُ شطرَ أسلوبٍ، لهُ دَورٌ عميقٌ في تحقيقِ التّرابطِ والتّماسكِ النّصّيّ، هوَ الإحالةُ، مقتصَرًا، فيها، على الإحالةِ الضّميريّةِ؛ لأنَّ الإحالةَ بابٌ عريضٌ واسعٌ متشعّبُ المسالكِ، فاقتصرْ البحثُ على ما كانَ إحالةً بالضّمير؛ فهيَ الأكثرُ دَورانًا واستعمالًا في النّصوصِ، ومنْ بينِها نصُّ سورةِ الرّحمنِ.

وقدْ كانَ اختيارُ الإحالةِ مِضمارًا لِلدّرسِ؛ لِما تبدّى لِلباحثينِ، بعدَ الدّرسِ والاطّلاعِ، منْ أثرٍ كبيرٍ، لِلإحالةِ، في تحقيقِ التّماسكِ النّصّيّ؛ فَدراسةُ الإحالةِ في القرآنِ الكريمِ لَها أثرٌ كبيرٌ في الكشفِ عنْ جوانبِ إعجازِهِ، ووجوهِ فصاحتِهِ وبلاغتِهِ؛ ذلكَ أنَّ الإحالةَ تقومُ بِدَوْرٍ أساسيٍّ في الرّبطِ بينَ عناصرِ النّصّ، خاصّةً الضّميرَ بِأنواعِهِ، فالإحالةُ تُبقي النّصَّ مربوطًا وموصولًا بعضُهُ بِبعضٍ، لاحقُهُ بِسابقِهِ، فلا يمكنُ أنْ تتقرّرَ الدّلالةُ الحقيقيّةُ لِكُلّ جملةٍ داخلَ ما يُسمّى بِكلّيّةِ النّصّ، إلّا بِمراعاةِ الدّلالةِ السّابقةِ واللّاحقةِ، في ذلكَ التّتابعِ الجمليّ، وما منْ شكٍّ أنَّ الضّمائرَ

---

[1] الفقي، صبحي، علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000، 93/1.

[2] النّوري، محمّد جواد، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020، ص 281.

[3] بحيري، سعيد، علم لغة النّصّ، المفاهيم والاتّجاهات، الشركة المصريّة العالميّة، 1997، ص 146.

[4] فجّال، أنس، الإحالة وأثرها في تماسك النّصّ في القصص القرآنيّ، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، إصدارات نادي الإحساء الأدبيّ، 2013م، ص 93.

أَقْوى ما يقومُ بِهذا الدَّوْرِ، وقدْ أبرزَ تمّام حسّان هذا الدّورَ لِلضّميرِ، فَقالَ: "لا شكَّ أنَّ الضّمائرَ تلعبُ دوْرًا مُهمًّا جدًّا في علاقةِ الرّبطِ؛ فعوْدُها إلى مَرْجِعٍ يُغني عنْ تَكرارِ لفظِ ما رجعَتْ إليْهِ، ومنْ هنا يؤدّي إلى ترابطِ أطرافِ الجملةِ، ومنَ المعروفِ أنَّ الضّميرَ يعودُ، مثلًا، منْ جملةِ الخبرِ على المبتدأ، ومنْ جملةِ الحالِ على صاحبِ الحالِ، ومنْ جملةِ النّعتِ على المنعوتِ، ومنْ جملةِ الصّلةِ على الموصولِ، فَيجعلُ الجملةَ، في كلّ حالةٍ منْ هذهِ واضحةَ الوظيفةِ، غيرَ مُعرَّضةٍ لِلَّبْسِ".[1]

وتأسيسًا على ما سبقَ، فإنَّ البحثَ، بشكلٍ عامٍّ، يهدفُ إلى الآتي:
– بيانِ الدّورِ الّذي تؤدّيهِ الإحالةُ الضّميريّةُ في تماسكِ النّصّ وترابطِهِ.
– الوقوفِ على الإعجازِ اللُّغويّ في القرآنِ الكريمِ، منْ خلالِ درسِ الإحالةِ الضّميريّةِ.

وقدِ انطلقَتْ فكرةُ البحثِ، كَما سَبَقَ، مِنْ إشكاليّةٍ مَفادُها أنَّ الإحالة الضّميريّةَ أسلوبٌ كثير التّداولِ في القرآنِ الكريمِ، ولا سيَّما في سورةِ الرّحمنِ، مِمّا جعلَها جَليّةً فيها.

أمّا الدّراساتُ العِلْميّةُ السّابقةُ لِلدّراسة، فلمْ نقف –في حدودِ اطّلاعنا– على دراساتٍ تناولَتِ الإحالةَ الضّميريّةَ، في سورةِ الرّحمنِ، بشكلٍ مخصوص، لكنْ وقفْنا على دراسةٍ، عنوانُها: (أثرُ الاتّساقِ اللُّغويّ في النّصّ القرآنيّ: سورةُ الرّحمنِ أُنموذجًا، لِلباحثةِ: بطاهر ميمونة، رسالةُ ماجستير، جامعةُ عبدِ الحميدِ بنِ باديس، الجزائرُ، 2017)، لكنّها تحدّثَتْ تنظيرًا عنْ وسائلِ الاتّساقِ، دونَ أنْ تشتملَ عليْها جميعًا، وعندَ الدّراسةِ التّطبيقيّةِ اقتصرَتْ على التّضامّ وحدَهُ، في صَفَحاتٍ قليلةٍ، تَعدادُها أربعَ عشْرةَ صفحةً، فلا التقاءَ، البتّةَ، بينَ هذهِ الدّراسةِ ودراستنا.

أمّا المنهجُ الّذي اقتضَتْ طبيعةُ الدّراسةِ السّيرَ عليْهِ، فهوَ المنهجُ الوصفيُّ، بِالاعتمادِ على أداتَيِ الإحصاءِ والتّحليلِ.

وقدْ جاءَ البحثُ مُكَوَّنًا منْ ملخَّصٍ، ومقدّمةٍ، ومَبحثينِ: يقدّمُ الأوّلُ مِهادًا نظريًّا عنِ الإحالةِ وأنواعِها، بشكلٍ عامٍّ، ويتناولُ الثّاني الإحالةَ الضّميريّةَ في سورةِ الرّحمنِ، ودورَها في تحقيقِ التّرابطِ النّصّيّ، والسّبكِ اللُّغويّ المُفضي إلى التّرابطِ الدّلاليّ.

المبحثُ الأوّلُ: الإحالةُ

لِلإحالةِ دورٌ عَميقٌ في ترابطِ النّصوصِ وتماسكِها، فقدْ أوْلاها المشتغلونَ باللّسانيّاتِ عِنايةً فائقةً، فهيَ مُكَوّنٌ لأحدِ معيارينِ لا يتحقّقُ كونُ النّصّ نصًّا إلّا بِهما، وهما مِعيارا السّبكِ والحبكِ؛ ذلكَ أنَّ التّرابطَ النّصّيَّ مَحكومٌ بِعناصرَ سبعةٍ، عيّنَها دي بوجراند ودريسلر، لكنَّ المعيارينِ المذكورينِ هما الأهمُّ، فلا نصّيّةَ لِلنّصّ دونَهما.[2]

[1] حسّان، تمّام، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2004م، ص 113.
[2] ينظر: النوري، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 199.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

ولمّا كانَتِ الإحالةُ مُكوّنًا لأحدِ أهمِّ معيارينِ نصيّينِ، بلْ تكادُ تكونُ أهمَّ مكوّنٍ لِذلكَ المِعيارِ؛ كونَها لا يكادُ يخلو نصٌّ منْها، فقدْ عُنِي اللّسانيّونَ بِها عِنايةً بالغةً بليغةً، فأتوْا على تعريفِها، وأقسامِها، وتفصيلاتِها، وفوائدِها الرّبطيّةِ.

والإحالةُ، في اللُّغةِ، بِمعنى التّحرّكِ في دَوْرٍ[1]، فمنْ ذلكَ: أحالَ الشّيءُ: أتى عليْهِ حولٌ كاملٌ، وأحالَ الكلامَ: عدلَ بِهِ عنْ وجهِهِ،[2] وفي المعجمِ الوسيطِ: "حالَ الشّيءُ أوِ الرّجلُ: تحوّلَ منْ حالٍ إلى حالٍ، وأحالَ القاضي القضيّةَ إلى مَحْكَمَةِ الجناياتِ: نقلَها إليْها، وحوّلَ الشّيءَ: غيّرَهُ منْ مكانٍ إلى مكانٍ آخرَ، ومنْ حالٍ إلى حالٍ، وتحوّلَ: تنقّلَ منْ موضعٍ إلى موضعٍ، أوْ منْ حالٍ إلى حالٍ، وتحوّلَ عنِ الشّيءِ: انصرفَ عنْهُ".[3]

أمّا مصطلحُ الإحالةِ فهوَ قديمٌ مذكورٌ في الدّراساتِ العربيّةِ القديمةِ، وكانَ دَوَرانُهُ في تلكَ الدّراساتِ يتمحورُ على وجودِ عَلاقةٍ بينَ طرفينِ، إلّا أنَّهُ لمْ ينضجْ مُصطلحًا لُغويًّا مُستقرًّا في تلكَ الدّراساتِ، على الرّغمِ منَ استعمالِهِ في بعضِ كتبِ البلاغةِ والتّفسيرِ.[4]

أمّا في الدّراساتِ اللّسانيّةِ الحديثةِ فقدْ تعدّدَتْ تعريفاتُ الإحالةِ، منْها، على سبيلِ المثالِ، تعريفُ دي بوجراند، فقدْ ذهبَ إلى أنَّ الإحالةَ هيَ: "العلاقةُ بينَ العباراتِ منْ جهةٍ، وبينَ الأشياءِ والمواقفِ في العالمِ الخارجيّ الّذي تشيرُ إليْهِ العباراتُ منْ جهةٍ أخرى"،[5] ويعرّفُها تعريفًا آخرَ مشابهًا أنَّها "تلكَ العلاقةُ بينَ العباراتِ والأشياءِ والمواقفِ في العالمِ الّذي يُدَلُّ عليْهِ بِالعباراتِ ذاتِ الطّابعِ البدائليّ، في نصٍّ ما، إذْ تشيرُ إلى شيءٍ ينتمي إلى نفسِ عالمِ النّصّ، أمكنَ أنْ يُقالَ عنْ هذهِ العباراتِ: إنَّها ذاتُ إحالةٍ مشتركةٍ"،[6] والمقصودُ منْ تعريفَيْ دي بوجراند أنَّ الإحالةَ ألفاظٌ تَرِدُ في نصٍّ لُغويٍّ، لا تُفهَمُ إلّا بَوساطةِ عَلاقتِها بِألفاظٍ أخرى داخلَ النّصّ، أوْ بِعلاقتِها بِالواقعِ الخارجيّ منْ سياقٍ خاصٍّ، أوْ معارفَ علميّةٍ، وهذا ما يُشيرُ إليْهِ تمّام حسّان في تعريفِهِ الإحالةَ أنَّها: "أنْ يُشيرَ عنصرٌ لاحقٌ إلى عنصرٍ آخرَ سابقٍ في سياقِ النّصّ".[7]

ولعلَّ المقصودَ نفسَهُ يتكرّرُ في تعريفِ جون ليونز، إذْ عرّفَ الإحالةَ بِقولِهِ: "هيَ تلكَ العلاقةُ القائمةُ بينَ الأسماءِ والمسمّياتِ، وهيَ علاقةٌ دِلاليّةٌ تخضعُ لِقيدٍ أساسيٍّ، وهوَ وجوبُ تَطابُقِ الخصائصِ الدّلاليّةِ بينَ العنصرِ المحيلِ، والعنصرِ المُحالِ إليْهِ"،[8] ولمّا كانَتْ هناكَ عَلاقةٌ قائمةٌ بينَ الأسماءِ والمسمَّياتِ، فهذا يعني أنَّ عناصرَ الإحالةِ لا تملكُ دِلالةً مستقلّةً، لِذلكَ؛ عرّفَ الأزهرُ الزّنّادُ الإحالةَ بِأنَّها: "قسمٌ منَ الألفاظِ الّتي لا تملكُ دِلالةً مستقلّةً، بلْ تعودُ على عنصرٍ، أوْ عناصرَ أخرى مذكورةٍ في أجزاءٍ أخرى منَ الخِطابِ، فشرطُ وجودِها هوَ النّصُّ، وهيَ

---

[1] المصدر السابق، ص 354.

[2] ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، 1979، مادّة (حال).

[3] مجمع اللّغة العربيّة: المعجم الوسيط، مادّة (حال)، المكتبة الإسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع.

[4] ينظر: النّوري، لسانيات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 355–356.

[5] دي بوجراند، روبرت، النّصّ والإجراء والخطاب، ترجمة: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 172.

[6] المصدر السابق، ص 320.

[7] حسّان، تمّام، اجتهادات لغويّة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2007م، ص 155.

[8] عفيفي، أحمد، نحو النّصّ، ط1، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، 2001، ص 116.

تقومُ على مبدأِ التّماثلِ بينَ ما سبقَ ذكرُهُ، في مَقامٍ ما، وبينَ ما هوَ مذكورٌ، بعدَ ذلكَ، في مَقامٍ آخرَ"،[1] ويعلّقُ مُحَمَّد جواد النّوريّ على هذا التّعريفِ، ويوضّحُهُ بِقولِهِ: "وهذا يعني أنَّ دلالةَ الألفاظِ، الّتي يُحالُ بِها، ترتبطُ أساسًا بالنّصّ، أيْ: أنَّ العنصرَ المُحالَ لا بُدَّ أنْ يماثلَ المُحالَ إليْهِ، سواءٌ أكانَ سابقًا عليْهِ، أمْ لاحقًا بِهِ"،[2] وقدْ أجملَ أحدُ الباحثينَ كلَّ التّعريفاتِ السّابقةِ، وقدّمَ مفهومًا شاملًا وواسعًا للإحالةِ، أوْ لنقلْ: مفهومًا جامعًا مانعًا، فعرّفَ الإحالةَ بِأنَّها: "عَلاقةٌ معنويّةٌ بينَ ألفاظٍ، أوْ أسماءٍ مَعْنويّةٍ، وما تشيرُ إليْهِ مِنْ مُسمَّياتٍ، أوْ أشياءَ، داخلَ النّصّ أوْ خارجَهَ، يَدُلُّ عليْها السّياقُ، أوِ المَقامُ، عنْ طريقِ ألفاظٍ، أوْ أدواتٍ محدَّدةٍ، كَالضّميرِ، واسمِ الإشارةِ، والاسمِ الموصولِ، وتشيرُ إلى مواقفَ سابقةٍ، أو لاحقةٍ في النّصّ".[3]

يتّضحُ منَ التّعريفاتِ السّابقةِ للإحالةِ، الّتي تدورُ كلُّها في فَلَكٍ واحدٍ، أنَّ الهدفَ الّذي ترمي إليْهِ الإحالةُ هوَ الإيجازُ، والانفكاكُ منَ التّكرارِ غيرِ المفيدِ، كما يتّضحُ أنَّها تحيلُ الأسماءَ إلى مُسمَّياتِها وَفقَ عَلاقةٍ دِلاليّةٍ تطابقيّةٍ بينَ خصائصِ المُحال والمُحال إليْهِ،[4] وكلُّ ذلكَ غرضُهُ الأسمى هو تحقيقُ التّرابطِ والتّماسكِ في النّصّ، والتّعريفُ الجامعُ المانعُ الأخيرُ يشيرُ إلى عناصرَ وأدواتٍ تملكُ خاصّيّةَ الإحالةِ.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المعنى الاصطلاحيَّ اللّسانيَّ لمْ يتشكّلْ بِمعزِلٍ عنِ المعنى اللُّغويّ، وإنّما هوَ مَبنيٌّ عليْهِ؛ فالمعنى العامُّ للفعلِ أحالَ هوَ التّغيّرُ، ونقلُ الشّيءِ إلى شيءٍ آخرَ، وهذا لَيْسَ بعيدًا عنِ الاستخدامِ الدّلاليّ لِلإحالةِ النّصّيّةِ؛ فالتّغيّرُ والتّحوّلُ ونقلُ الشّيءِ، منْ حالةٍ إلى أخرى، لا يتمُّ إلّا في ظلِّ علاقةٍ قائمةٍ بينَهما.

أدواتُ الإحالةِ وَوَسائِلُها

قدْ ذكرْنا أنَّ الإحالةَ إحدى الوسائلِ التّي تعملُ على تحقيقِ التّماسكِ بينَ أجزاءِ النّصّ، وهذا، بِالضّرورةِ، لا يكونُ إلّا بِمجموعةٍ منَ الأدواتِ اللُّغويّةِ، وهيَ الّتي تُسمّى العناصرَ الإحاليّةَ، أوْ أدواتِ التّماسكِ الإحاليّةَ، وهذهِ الأدواتُ والعناصرُ، هيَ:

أوّلًا: الضّمائرُ: لِلضّمائرِ دَوْرٌ مُهِمٌّ في تماسكِ النّصّ، فهيَ أدواتٌ إحاليّةٌ، تسهمُ في ربطِ أجزاءِ النّصّ بعضِها ببعضٍ؛ إذْ تنوبُ عنِ الكلماتِ والعباراتِ المتتاليةِ؛ ما يؤدّي إلى تماسكِ النّصّ.[5]

وتنقسمُ الضّمائرُ، في حقْلِ اللّسانيّاتِ، إلى المتكلّمِ والمخاطَبِ، والأدوارِ الأخرى، الّتي يُقصَدُ بها ضمائرُ الغائبِ،[6] وممّا يُسْتَحْسَنُ ذكرُهُ أنَّ ضمائرَ المتكلّمِ والمخاطَبِ تُحيلُ إلى شيءٍ خارجَ النّصّ غالبًا،[7] ولِهذا؛ فَإنَّ

---

[1] الزّنّاد، الأزهر، نسيج النّصّ، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، 1993، ص 118.

[2] النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 359.

[3] إسماعيل، نائل، الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّصّ القرآنيّ، مجلّة جامعة الأزهر، العدد 1، المجلّد 13، غزّة، 2011، ص 4.

[4] النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 360.

[5] ينظر: الفقي، علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق، ص 137.

[6] ينظر: الخطّابيّ، محمّد، لسانيّات النّصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، 2006، ص 18.

[7] ينظر: الثّنيان، نوال، الإحالة الضّميريّة في اللّغة العربيّة، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، المجلّد الثّالث عشر، العدد الثّالث، 2010، ص 174.

النّصّيّينَ لا يُعوّلونَ عليْها في عمليّةِ التّماسكِ النّصّيّ، إنَّما مُعوَّلُهمْ على ضمائرِ الغائبِ؛ لِأنَّها تحيلُ إلى شيءٍ غائبٍ داخلَ النّسيجِ النّصّيّ نفسِهِ، فتجبرُ المتلقّيَ على البحثِ عنْهُ داخلَ النّصّ، وبِذلكَ تُسهمُ في اتّساقِهِ وترابطِهِ،[1] وفي بيانِ أهميّةِ الضّمائرِ في تماسكِ النّصوصِ، يقولُ الأزهرُ الزّنّادُ في تعريفِ النّصّ: "نسيجٌ منَ الكلماتِ يترابطُ بعضُها بِبعضٍ، بِوساطةِ تَسَلْسُلٍ ضميريٍّ، تجمَعُ عناصرَهُ المختلفةَ والمتباعدةَ في كلٍّ واحدٍ".[2]

ثانيًا: أسماءُ الإشارةِ: تُعَدُّ أسماءُ الإشارةِ، منْ منظورِ لسانيّاتِ النّصّ، الوسيلةَ الثّانيةَ، منْ وسائلِ السّبكِ الإحاليّةِ، بعدَ الضّمائرِ، ويرى الباحثانِ هاليدي ورقيّة حسن أنَّها تنقسمُ إلى أقسامٍ، بِاعتمادِ المسافةِ قُربًا وبُعدًا منْ موقعِ المتكلّمِ في المكانِ والزّمانِ، فهيَ (الآنَ، غدًا) بِحسبِ الظّرفيّةِ المُحيلةِ على الزّمانِ، ومنْها المحيلةُ على المكانِ (هنا، هناكَ)، وبَحسبِ الانتقاءِ (هذا، هؤلاء...)، وبِحسبِ القُربِ (هذا، هذهِ...)، وبِحسبِ البُعدِ (ذاكَ، تلكَ)،[3] وهيَ، كَالضّمائرِ، لا تُفهَمُ إلّا إذا رُبطَتْ بِما تشيرُ إليْهِ، ويقعُ على عاتقِها اتّساقُ النّصّ، وترابطُهُ، سواءٌ أكانَ بِوساطةِ الإحالةِ القبليّةِ، أوِ البعديّةِ.[4]

ثالثًا: الأسماءُ الموصولةُ: هيَ إحدى الوسائلِ الّتي تحقّقُ الإحالةَ داخلَ النّصّ، وتسهمُ إسهامًا فعّالًا في عودةِ الكلامِ بعضِهِ على بعضٍ، فقدْ عرّفَ ابنُ يعيشَ الأسماءَ الموصولةَ أنَّها: "ضربٌ منَ المُبهَماتِ، كَاسْمِ الإشارةِ؛ وإنَّما كانَتْ مُبهَمةً؛ لِوقوعِها على كلّ شيءٍ منْ حيوانٍ وجمادٍ وغيرِهما"،[5] فمعناها لا يتمُّ بنفسِهِ، بلْ يحتاجُ إلى صِلَةٍ بعدَها؛ ليتمَّ اسمًا، وهذا يعني أنَّ الاسمَ الموصولَ وسيلةٌ مهمّةٌ منْ وسائلِ التّماسكِ النّصّيّ؛ فهوَ يعملُ على تعليقِ الكلامِ بعضِهِ على بعضٍ، ويربطُ بينَ عناصرِهِ، والاسمُ الموصولُ شأنُهُ شأنُ الضّمائرِ؛ فهوَ يُسهمُ في شدِّ أزرِ النّصّ وتماسكِهِ، حينَما يقومُ بوظيفةِ الضّمائرِ، منْ حيثُ المَرجعيّةُ والرّبطُ؛ لِأنَّهُ اسمٌ مفتقِرٌ، ومُبْهَمُ الدّلالةِ، الأمرُ الّذي جَعَلَهُ محتاجًا إلى عنصرٍ آخرَ؛ لِيزيلَ هذا الغموضَ عنْهُ. [6]

ومنَ الأدوارِ المهمّةِ الّتي يقومُ بها الاسمُ الموصولُ في ترابطِ النُّصوصِ أنَّهُ يقومُ بتعريفِ المُحالِ إليْهِ وتحديدِهِ، بحيثُ يصبحُ واضحًا لدى المتلقّي، إلّا أنَّهُ لا يقومُ بِهذهِ الوظيفةِ وحدَهُ، وإنَّما منْ خلالِ تضافرِهِ معَ جملةِ الصّلةِ المشتملةِ على ضميرٍ عائدٍ، وهذا يعني أنَّ الإحالةَ الموصوليّةَ إحالةٌ مزدوجةٌ، يقومُ بِها الاسمُ الموصولُ بِالاشتراكِ مَعَ صِلتِهِ، الّتي تحتاجُ إلى مكوّنٍ نحويٍّ تحويليٍّ، هوَ الضّميرُ العائدُ.[7]

---

[1] ينظر: عفيفي، أحمد، الإحالة في نحو النّصّ، مكتبة زهراء الشّرق، ص 533.

[2] الأزهر الزّناد، نسيج النّصّ: بحث ما يكون به الملفوظ نصًّا، ص 12.

[3] ينظر: خطّابي، لسانيّات النّصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 19.

[4] ينظر: الدّاوودي، زاهر مرهون، التّرابط النّصّيّ بين الشّعر والنّثر، ط1، دار جرير، عمّان، 2010، ص 47.

[5] ابن يعيش، أبو البقاء علي (ت 643هـ)، شرح المفصّل، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2001، 372/2.

[6] ينظر: السّامرائيّ، فاضل، معاني النّحو، ط2، دار الفكر، عمّان، 2003، 112/2.

[7] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 435.

رابعًا: أدواتُ المقارنةِ: المقارنةُ تعني الإتيانَ بِصورتينِ متناقضتينِ في السّياقِ نفسِهِ؛ لِتحقيقِ هدفٍ ما، والوصولِ إلى دِلالةٍ واحدةٍ،[1] وبِصورةٍ أخرى، فإنَّ المقارنةَ تقومُ بِالرّبطِ بينَ مَعْنَيَيْنِ، أوْ أكثرَ، منْ خلالِ الموازنةِ بينَ الأشياءِ، أوْ تفضيلِ أحدِها على الآخرِ.[2]

وتنقسمُ أدواتُ المقارنةِ إلى قسمينِ: أدواتِ مقارنةٍ عامّةٍ، وهيَ تأتي بألفاظِ مقارنةٍ تعبّرُ عنِ التّشابهِ والتّطابقِ والاختلافِ، وأدواتِ مقارنةٍ خاصّةٍ، يُؤتى بِها؛ لِلتّعبيرِ عنِ الموازنةِ بينَ شيْئينِ، أوْ أكثرَ، منْ حيثُ الكمُّ، أوِ الكيفُ،[3] ويقومُ اسمُ التّفضيلِ، في العربيّةِ، بِوظيفةِ المُقارنةِ الخاصّةِ.[4]

أنواعُ الإحالةِ

قسّمَ علماءُ النّصِّ الإحالةَ، اعتمادًا على العنصرِ الإشاريّ المُحالِ إليْهِ، إلى قسمينِ رئيسينِ، هما:

أوّلًا: الإحالةُ الخارجيّةُ، أوِ المَقاميّةُ: سُمّيَتْ خارجيّةً؛ لِأنَّ الضّميرَ يُحيلُ إلى عائدٍ خارجَ التّركيبِ، ومَقاميّةً؛ لِأنَّ المَقامَ هوَ الّذي يحدّدُ الاسمَ الّذي تُحيلُ إليْهِ،[5] ويُقصَدُ بِها: "إحالةُ عنصرٍ لُغويٍّ إحاليٍّ على عنصرٍ إشاريٍّ غيرِ لُغويٍّ موجودٍ في المَقامِ الخارجيّ، كأنْ يُحيلَ ضميرُ المتكلّمِ المفردُ على ذاتِ صاحبِهِ المتكلّمِ، حيثُ يرتبطُ عنصرٌ لُغويٌّ إحاليٌّ بِعنصرٍ إشاريٍّ غيرِ لُغويٍّ، هوَ ذاتُ المتكلّمِ"،[6] فهيَ إحالةٌ لِغيرِ مذكورٍ، وعلاقتُها بِالنّصِّ علاقةُ تواصلٍ، لا تفاصلٍ، وعلاقةُ ارتباطٍ، لا تنافرٍ؛ لِأنَّ الّذي يُعينُ على تفسيرِها هوَ السّياقُ[7]، وعلى الرّغمِ منْ أنَّ هذا النّوعَ منَ الإحالةِ، كما ذهبَ هاليدي ورقيّة حسن، لا يُسهمُ في اتّساقِ النّصِّ بِشكلٍ مباشرٍ، وإنّما يُسهمُ في خلقِ النّصِّ، إلّا أنّهُ ضروريٌّ؛ لِانسجامِ النّصِّ معَ مَقامِهِ، وهوَ يحقّقُ لهُ المقبوليّةَ عندَ المتلقّي. [8]

والإحالةُ المَقاميّةُ تحتاجُ إلى جهدٍ أكبرَ، منَ المتلقّي، لِلكشفِ عنِ العنصرِ غيرِ اللُّغويّ، الموجودِ في خارجِ النّصِّ، وذلكَ بِاللّجوءِ إلى السّياقِ، أوِ المَقامِ الخارجيّ.[9]

ثانيًا: الإحالةُ الدّاخليّةُ، أوِ النّصّيّةُ: هيَ: "إحالةٌ على العناصرِ اللُّغويّةِ الواردةِ في المَلفوظِ، سابقةً كانَتْ أمْ لاحقةً"،[10] ومنْ ثَمَّ، فهيَ عكسُ الإحالةِ الخارجيّةِ، فإذا كانَتِ الإحالةُ الخارجيّةُ، أوِ المَقاميّةُ، تُحيلُ إلى أشياءَ،

---

[1] ياسر، خليل، التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب، ط1، دار جرير، 2009، ص 75.

[2] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 449.

[3] ينظر: خطّابيّ، لسانيّات النّصّ، ص 19.

[4] ينظر: عليّ، محمّد، قضايا في اللّغة واللّسانيّات وتحليل الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2013، ص 82.

[5] ينظر: الخطابيّ، لسانيّات النّصّ، ص 17.

[6] الأزهر الزّنّاد، نسيج النّص، ص 119.

[7] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 373.

[8] ينظر: خطّابيّ، لسانيّات النّصّ، ص 17.

[9] ينظر: المصدر السابق، ص 17.

[10] الأزهر الزّنّاد، نسيج النّصّ، ص 118.

ومَوْجوداتٍ خارجَ النّصّ، فَإنَّ الإحالةَ النّصّيّةَ هِيَ: "الّتي تُحيلُ فيها بعضُ الوَحَداتِ اللُّغويّةِ على وَحَداتٍ أخرى سابقةٍ عنْها، أوْ لاحقةٍ لَها في النّصّ".[1]

والإحالةُ النّصّيّةُ تنقسمُ بِدَوْرِها، منْ حيثُ علاقتُها بِالنّصّ، إلى قسمينِ، هما:

أ. الإحالةُ القَبْلِيَّةُ: وهيَ: "استعمالُ كلمةٍ، أوْ عبارةٍ تشيرُ إلى أخرى، أوْ إلى عبارةٍ سابقةٍ في النّصّ، أوِ المحادثةِ"،[2] ويُطلِقُ عليْها الأزهرُ الزّنّادُ الإحالةَ بِالعودةِ؛ لِأنَّها تعودُ على مُفسِّرٍ سبقَ التّلفُّظُ بِهِ،[3] وهيَ الأكثرُ دَوَرانًا في الكلامِ.[4]

ب. الإحالةُ البَعْدِيَّةُ: هيَ: "الإحالةُ الّتي تعودُ على عنصرٍ إشاريٍّ مذكورٍ بعدَها في النّصّ، ولاحقٍ عليْها".[5] ويُطلَقُ على هذا النّوعِ منَ الإحالةِ المَرجعيّةُ اللّاحقةُ،[6] وهيَ أقلُّ استخدامًا منَ الإحالةِ القبليّةِ؛ كونَها أكثرَ صُعوبةً؛ فهيَ تُلمِحُ إلى ما يُؤخَّرُ ذكرُهُ داخلَ النّصّ، ولِذا؛ فهيَ مُثيرةٌ لِذهنِ المتلقّي.[7]

ولِلإحالةِ أهميّةٌ كبيرةٌ، وأغراضٌ عديدةٌ، يمكنُ إجمالُها في تحقيقِ التّماسكِ النّصّيّ، أوِ السّبكِ، والتّماسكِ الدّلاليّ، أوِ الحبكِ، والتّشكيلِ النّصّيّ، والانسجامِ، والنّصّيّةِ بِشكلٍ عامٍّ،[8] فَلَها الدّورُ البالغُ في ترابطِ النّصوصِ وتماسكِها، وجعلِها جَسَدًا واحدًا؛ يؤدّي كلُّ نصٍّ وظيفتَهُ في الإفهامِ، وإيصالِ الرّسالةِ لِلمُتلقّي، على الوجهِ المطلوبِ، منْ خلالِ الإحالةِ، كَما أنَّها تؤدّي وظيفةً جماليّةً، منْ خلالِ اقتصادِ الكلامِ، وتحاشي التّكرارِ؛ إذْ تختصرُ الأدواتُ الإحاليّةُ الكلماتِ، وتُجَنِّبُ المتكلّمَ إعادتَها في النّصّ، وهذا يؤدّي إلى وظيفةٍ إفهاميّةٍ أيضًا.

وإذا كانَ لِلإحالةِ كلُّ هذهِ الأهميّةِ السّبكيّةِ النّصّيّةِ، فإنَّ الإحالةَ الضّميريّةَ، تحديدًا، تُعَدُّ أهمَّ الإحالاتِ؛ فلا يكادُ يخلو نصٌّ منْ وُجودِها،[9] ولِهذهِ الضّمائرِ تقسيماتٌ متنوّعةٌ، سَيُشارُ إليْها، في الجانبِ التّحليليّ، إنْ شاءَ اللهُ.

الإحالةُ الضّميريّةُ في سورةِ الرّحمنِ

لعلَّ ممّا يَحْسُنُ جلاؤُهُ، قبلَ التّنقيبِ عنِ الإحالةِ الضّميريّةِ، في السّورةِ الكريمةِ، التّعريفَ بِالسّورةِ، وبيانَ سببِ النُّزولِ، فسورةُ الرّحمنِ منَ السُّوَرِ المدنيّةِ في قولَيِ ابنِ مسعودٍ، وابنِ عبّاسٍ، وسببُ نزولِها أنَّهُ لمّا نزلَ قولُهُ

---

[1] الصّبيحيّ، مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه، ص 89.
[2] الفقي، علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق، ص 38.
[3] ينظر: الأزهر الزّنّاد، نسيج النّصّ، ص 118.
[4] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 389.
[5] عفيفي، نحو النّص، ص 117.
[6] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 390.
[7] أبو عودة، ماجدة، التّماسك النّصّيّ في قصّة داود وسليمان في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، ص 56.
[8] بحيري، سعيد، دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005، ص 91.
[9] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 395.

تعالى: "وإذا قيلَ لهمُ اسجدوا لِلّرحمنِ قالوا وما الرّحمنُ"،[1] أنزلَ اللهُ قولَهُ تعالى: "الرّحمنُ علّمَ القرآنَ"،[2] فكانَ نزولُ هذهِ السّورةِ رَدًّا على المشركينَ المُنكرينَ للهِ تعالى، المُدّعينَ عدمَ معرفتِهِ، والمُنكرينَ فَضلَهُ، كما أنَّ لِنزولِها سببًا آخرَ، هوَ الرَّدُّ على الكافرينَ المُدّعينَ أنَّ مَنْ يُعَلِّمُ رسولَ اللهِ بشرٌ مثلُهُ، فلمّا نزلَ قولُ اللهِ على لسانِهِمْ: "إنّما يعلّمُهُ بشرٌ"،[3] أَكْذَبَهمُ اللهُ تعالى في قولِهِمْ، وادّعائِهم، فأنزلَ "الرّحمنُ علّمَ القرآنَ".[4]

وَلَنا في سببَيْ نزولِها وِقفةٌ نَصّيّةٌ متأنّيةٌ، فسورةُ الرّحمنِ جاءَتْ مُعتمِدةً على سورةٍ، بلْ على سُوَرٍ قبلَها، فلمْ تأتِ خِلوًا منْ دلالاتٍ، ومعارفَ اعتمدَتْ عليْها، وهذا ما يسمّيهِ النّصّيّونَ بالتّناصّ، وهوَ: "عَلاقةٌ تقومُ بينَ أجزاءِ النّصّ بعضِها بِبعضٍ، كما تقومُ بينَ النّصّ والنّصّ، كَعَلاقةِ السّؤالِ والجوابِ، وعَلاقةِ التّلخيصِ بالنّصّ المُلخَّصِ... وعَلاقةِ الغامضِ بِما يوضّحُهُ، وعَلاقةِ المُحتمَلِ بِما يحدّدُ معناهُ، وهذهِ العَلاقةُ الأخيرةُ هيَ المقصودةُ بعبارةِ (القرآنُ يفسّرُ بعضُهُ بعضًا)".[5]

إنَّ التّعريفَ الآنفَ الذّكرِ يَتجلّى، بأبْهى صُوَرِهِ، في سورةِ الرّحمنِ؛ إذْ لَمّا أنكرَ المُشركونَ الرّحمنَ، وسألوا ما هذا الرّحمنُ؟ جاءَهمُ اللهُ بالجوابِ القاطعِ، وأخبرَهمْ أنَّ الرّحمنَ هوَ منْ علّمَ القرآنَ، وخلقَ الإنسانَ... ولَمّا ادّعوْا أنَّ مَنْ يعلّمُ الرّسولَ بَشَرٌ، وأنَّ القرآنَ ليسَ إلّا أساطيرَ الأوّلينَ، فصّلَ اللهُ لَهمْ، بِشرحٍ طويلٍ، منِ الّذي يُعلّمُ الرّسولَ، فأسئلةُ المشركينَ وادّعاءاتُهمْ كانَتْ علاقاتٍ غامضةً، فأزالَتْ سورةُ الرّحمنِ الغُموضَ عنْها، كما أنَّ سورةَ الرّحمنِ حدّدَتِ المعانيَ الّتي يرمي إليْها المُشركونَ، وأزالَتْ غُموضَها، وهذا كلُّهُ يقودُنا إلى قولِ ابنِ هشامٍ الأنصاريّ بأنَّ القرآنَ نصٌّ واحدٌ متكاملٌ، يفسّرُ بعضُهُ بعضًا.[6]

والتّناصُّ، كما قلْنا، نصٌّ تالٍ يلخّصُ النّصَّ المتقدّمَ، أوْ يقدّمُ لَهُ شرحًا، أوْ توضيحًا لِما قدْ يكونُ فيهِ إبهامٌ، أوْ تفصيلًا لِما قدْ يتّسمُ بِهِ مِنْ إجمالٍ،[7] وتأسيسًا على هذا المفهومِ لِلتّناصّ، فإنَّهُ لمّا أجملَ اللهُ، تعالى شأنُهُ، حالَ المجرمينَ في سقرَ، وحالَ المتّقينَ في جنّاتٍ ونهرٍ، في السّورةِ السّابقةِ، أوْ لنقلْ: في النّصّ السّابقِ لنصّ سورةِ الرّحمنِ، وهوَ سورةُ القمرِ، فصّلَ اللهُ هذا الإجمالَ في سورةِ الرّحمنِ أتمَّ تفصيلٍ، على التّرتيبِ الواردِ في الإجمالِ،

---

[1] الفرقان: 60.

[2] الرّحمن: 1-2.

[3] النّحل: 103.

[4] ينظر: أبو حيّان، محمّد بن يوسف (ت 745هـ)، البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 186/8.

[5] حسّان، تمّام، نحو الجملة ونحو النّصّ، محاضرة ألقيت ضمن النّشاط الثّقافيّ لمعهد اللّغة العربيّة بجامعة أمّ القرى، 1414هـ، مقال غير منشور، ص 83.

[6] ينظر: ابن هشام، أبو محمّد جمال الدّين عبد الله بن يوسف (ت 761هـ)، مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي عبد الله، ط6، دار الفكر، دمشق، 1985، 328/1.

[7] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 337.

فوصفَ النّارَ وأهلَها، والجنّةَ وأهلَها، فكانَتْ سورةُ الرّحمنِ، بِرُمّتِها، شرحًا وتفصيلًا لِآخرِ السّورةِ الّتي قبلَها،[1] وكلُّ ذلكَ يَصُبُّ في جعلِ القرآنِ نصًّا واحدًا متسلسلَ البناءِ.

كما أنَّ اللهَ تعالى لمّا ختمَ سورةَ القمرِ بِعظيمِ المُلكِ، وبليغِ القدرةِ، وكانَ المَلِكُ القادرُ المقتدرُ لا يَكمُلُ مُلْكُهُ إلّا بِالرّحمةِ، وكانَتْ رحمتُهُ لا تتمُّ إلّا بِعمومِها، فقدْ فصّلَتْ سورةُ الرّحمنِ التّاليةُ لِسورةِ القمرِ تَعدادَ نِعَمِهِ، على خلقِهِ، في الدّارينِ، وهذا منْ آثارِ المُلكِ، وقدْ فصّلَ فيها ما أجملَ، في آخرِ القمرِ، منْ مَقَرِّ الأولياءِ والأعداءِ في الآخرةِ، وصدَّرَها بِالاسمِ الدّالِّ على عمومِ الرّحمةِ، بَراعةً في الاستهلالِ.[2]

إنَّ ما تقدّمَ منْ كلامٍ عنِ التّناصّ، بيْنَ سورةِ الرّحمنِ، منِ جهةٍ، وسُوَرِ الفرقانِ والنّحلِ والقمرِ، منْ جهةٍ أخرى، لَيُؤَكِّدُ حقيقةً مهمّةً، هيَ أنَّ النّصَّ تتضافرُ فيهِ عناصرُ عديدةٌ؛ لِتجعلَ منْهُ نصًّا كاملَ النّصّيّةِ، فهذهِ الدّراسةُ، وإنِ امْتَشَقَتْ أقلامَها؛ لِتبيّنَ مواطنَ الإحالةِ الضّميريّةِ، في السّورةِ الكريمةِ، إلّا أنَّ عناصرَ أخرى، تفرِضُ نفسَها، مؤكِّدةً تلاحمَ المَعاييرِ النّصّيّةِ الفاعلةِ في تكوينِ النّصّ، وتكميلِهِ، فالإحالةُ لا تقومُ وحدَها بإنتاجِ النّصّ، وإنَّما تتعالقُ، معَ عناصرَ أخرى.

إذًا، فإنَّ السّياقَ العامَّ لِلسّورةِ هوَ ادّعاءُ المشركينَ عدمَ معرفةِ اللهِ، وادّعاؤُهمْ بأنَّ مَنْ يعلّمُ رسولَ اللهِ بَشَرٌ، وتفصيلُ نِعَمِ اللهِ، عزَّ وجلَّ، الرّحمنِ، على المتّقينَ الّذينَ هُمْ في جنّاتٍ ونهرٍ، وعلى الخلقِ بشكلٍ عامٍّ، وبيانُ عقابِ المجرمينَ الّذينَ هُمْ في ضلالٍ وسُعُرٍ، وهوَ ما أجملَتْهُ سورةُ القمرِ، فجاءَتْ سورةُ الرّحمنِ؛ لِبسطِ الحديثِ عنِ الرّحمنِ، ودلائلِ قدرتِهِ، بِما أنعمَهُ منْ نِعَمٍ على المؤمنِ، وبِما أعدَّ منْ عِقابٍ للكافرِ، فكيفَ عَمِلَتِ الإحالةُ الضّميريّةُ، في خدمةِ هذهِ الفكرةِ، وإنتاجِ هذا النّصّ، وترابطِهِ وتماسكِهِ، بِما يتواءَمُ والسّياق العامَّ للسّورةِ؟

لقدِ انتظمَتْ سورةَ الرّحمنِ خمسةُ محاورَ، تفاعلَتْ؛ لِتشكيلِ الإطارِ العامِّ لِلسّورةِ، وهذهِ المحاورُ هيَ:

أوّلًا: رحمةُ اللهِ وفضلُهُ، **وبيانُ نِعمِهِ** على الخَلْقِ، قبلَ إخراجِهِمْ إلى الدّنيا، الآياتُ (13-1).

ثانيًا: مرحلةُ الخلقِ الحقيقيّ، **وبيانُ نِعَمِ اللهِ** على الإنسانِ والجانّ، بعدَ إخراجِهِمْ إلى الدّنيا، الآياتُ (14-30).

ثالثًا: انتهاءُ الخلقِ، وذكرُ أحوالِ الآخرةِ، وعرضُ أهوالِ يومِ القيامةِ، الآياتُ (40-31).

رابعًا: بيانُ مصيرِ المجرمينَ المُجملِ في سورةِ القمرِ، الّذينَ لمْ **ينعموا بِنِعَمِ اللهِ**، الآياتُ (45-41).

خامسًا: **بيانُ نِعَمِ اللهِ** على الإنسانِ والجانّ في الآخرةِ، وإعدادُ الجنّةِ للمتّقينَ، وهذا المحورُ ينقسمُ على قسمينِ:

أ. نِعَمِ اللهِ بإعدادِ جنّاتٍ تناسبُ مَقامَ المتقدّمينَ في التّقوى، الآياتُ (61-46).

---

[1] ينظر: السّيوطيّ، جلال الدّين (ت 911هـ)، تناسق الدّرر في تناسب السّور، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986، 120-121.

[2] ينظر: البقاعيّ، برهان الدّين (ت 885هـ)، نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة، 19/139-140.

ب. نِعَمِ اللهِ بإعدادِ نوعٍ منَ الجِنانِ يناسبُ مَقامَ مَنْ هُمْ دونَ النّوعِ الأوّلِ في التّقوى، الآياتُ (62–78).

وفي ما يأتي بيانٌ، وتفصيلٌ، لِلإحالةِ الضّميريّةِ الواردةِ في المحاورِ السّابقةِ، وكيفَ أسهمَ هذا النّوعُ منَ الإحالةِ، في تكاملِ نصّيّةِ كلِّ محورٍ على حِدةٍ، وتكاملِ نصّيّةِ هذهِ المحاورِ بعضِها معَ بعضٍ، حتّى غَدَتْ هذهِ المحاورُ بِناءً متكاملًا، وأنتجَتْ نصًّا واحدًا مترابطًا متماسكًا.

المحورُ الأوّلُ: الآياتُ (1–13)

تتناولُ آياتُ هذا المحورِ رحمةَ اللهِ، وفضلَهُ، وبيانَ نعمِهِ، على الخلقِ قبلَ إيجادِهِمْ، وقدْ وردَتِ الإحالةُ الضّميريّةُ في آياتِ هذا المحورِ ستَّ عشْرةَ مرّةً، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. الرّحمنُ: أحالَ إليْهِ ستّةُ ضمائرَ، وجاءَتْ هذهِ الضّمائرُ في كلٍّ منْ قولِهِ: "علّمَ القرآنَ"، و"خلقَ الإنسانَ"، و"علّمَهُ البيانَ"، و"رفعَها"، و"وضعَ الميزانَ"، و"وضعَها للأنامِ".

والمدقّقُ في هذهِ الإحالاتِ يجدُها إحالاتٍ بِضميرِ الغائبِ (هوَ)، وقدْ جاءَتْ مُطابِقةً للمُحالِ إليْهِ، وهيَ إحالاتٌ نصّيّةٌ داخليّةٌ؛ لأنَّها تُحيلُ إلى مَذكورٍ في النّصّ، هوَ الرّحمنُ، وهيَ إحالاتٌ قبليّةٌ؛ لأنَّها تُحيلُ إلى مَذكورٍ سابقٍ، كما أنَّ الإحالاتِ جاءَتْ ذاتَ مدًى قريبٍ،[1] وكانَ المرجعُ مُحدَّدًا صريحًا،[2] والضّمائرُ المستعملةُ، في هذهِ الإحالاتِ، متنوّعةٌ، نظرًا لِمعاييرَ واعتباراتٍ مختلفةٍ، وهاكَ بيانَ ذلكَ:

– اعتمادًا على مِعيارِ الظّهورِ والخفاءِ،[3] فالضّمائرُ في (علّمَ، خلقَ، علّمَه، رفعَها، وضعَ الميزانَ، وضعَها)، ضمائرُ خفيّةٌ؛ كونَها جاءَتْ كلُّها مستترةً.

– واعتمادًا على مِعيارِ المدلول،[4] فكلُّها ضمائرُ وجوديّةٌ، تدلُّ على ذاتٍ.

2. الإنسانُ: أحالَ إليْهِ ضميرٌ واحدٌ، هوَ ضميرُ الغائبِ (الهاءُ)، في قولِهِ: "علّمَهُ البيانَ"، وجاءَ الضّميرُ بارزًا، وبِصيغةِ الغائبِ المذكّرِ المفردِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وكانَتِ الإحالةُ نصّيّةً؛ كونَها تُحيلُ إلى مَذكورٍ داخلَ النّصّ، وقبليّةً؛ كونَها تُحيلُ إلى مَذكورٍ سابقٍ، وجاءَ مدى الإحالةِ قريبًا، وكانَ مرجِعُ الضّميرِ مُحدَّدًا صريحًا، والضّميرُ المستعملُ في الإحالةِ ضميرٌ بارزٌ؛ كونَهُ متّصلًا، ووجوديٌّ؛ كونَهُ منفصلًا يَدُلُّ على ذاتٍ.

3. النّجمُ والشّجرُ: أحالَ إليْهما ضميرٌ واحدٌ، هوَ ضميرُ الغائبِ (ألفُ الاثنينِ)، في قولِهِ: "والنّجمُ والشّجرُ يسجدانِ"، وجاءَ الضّميرُ مثنًّى مطابقًا للمُحالِ إليْهِ، وكانَتِ الإحالةُ نصّيّةً، وقبليّةً، وذاتَ مدًى قريبٍ؛ كونَها تجري في مستوى الجملةِ الواحدةِ، ولِأنَّ المسافةَ بينَ الضّميرِ ومرجعِهِ قريبةٌ، أمّا نوعُ الضّميرِ فغائبٌ بارزٌ مُلكيٌّ، وجاءَ مرجعُهُ مُحدَّدًا صريحًا.

---

[1] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 386.

[2] المصدر السابق، ص 410.

[3] المصدر السابق، ص 402.

[4] المصدر السابق، ص 403.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

4. السّماءُ: أحالَ إليْها ضميرًا غائبًا واحدًا بارزًا، هوَ (الهاءُ) في قولِهِ: "والسّماءَ رفعَها"، وجاءَ بِصيغةِ المفردِ المؤنّثِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وكانَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحدَّدًا صريحًا.

5. الأرضُ: أحالَ إليْها ضميرًا غائبًا بارزًا، تكرّرَ مرّتينِ، هوَ (الهاءُ) في قولِهِ: "والأرضَ وضعَها لِلأنامِ"، وفي قولِهِ: "فيها فاكهةٌ..."، وقدْ جاءَ الضّميرُ المكرَّرُ بِصيغةِ المفردِ المؤنّثِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحدَّدًا صريحًا.

6. الخلائقُ منَ الجنِّ والإنسِ: أحالَتْ إليْهِ ثلاثةَ ضمائرَ مخاطَبةٍ بارزةٍ، بِصيغةِ الجمعِ، تطابقًا مع المُحالِ إليْهِ، هيَ واوُ الجماعةِ في كلٍّ منْ قولِهِ: "ألّا تَطْغَوْا في الميزانِ"، و"أقيموا الوزنَ بالقسطِ"، و"لا تُخسروا الميزانَ"، ولمّا أحالَتْ هذهِ الضّمائرُ إلى غيرِ مَذكورٍ في النّصِّ، كانَتِ الإحالةُ مَقاميّةً خارجَ النّصِّ، وقدْ جاءَ مرجعُ الضّميرِ محدّدًا غيرَ صريحٍ.

7. الثّقلانِ: أُحيلَ إلى هذا العنصرِ مرّتينِ، بِضميرَيْ كافِ الخطابِ وألفِ الاثنينِ، في قولِهِ: "فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبانِ"، وقدْ جاءَ الضّميرانِ بارزينِ، بِصيغةِ المثنّى المخاطَبِ، تطابقًا معَ المحالِ إليْهِ، والإحالةُ، هُنا، مَقاميّةٌ؛ فالثّقلانِ يَقَعانِ خارجَ النّصِّ، وقد جاءَ مرجعُ الضّميرِ محدّدًا غيرَ صريحٍ؛ فهوَ مفهومٌ فهمًا منْ سياقِ الكلامِ.

وبعدَ هذهِ الدّراسةِ الإحصائيّةِ للإحالاتِ الضّميريّةِ، لا بدَّ منْ سؤالٍ: كيفَ أسهمَتْ هذهِ الإحالاتُ في تماسكِ آياتِ المحورِ المدروسِ، وترابطِها، وانسجامِها؟

لعلَّ الجوابَ عنْ هذا السّؤالِ يحتاجُ إلى رجعِ نَظَرٍ، ومُداوَمَةِ دراسةٍ، لِموضوعِ الآياتِ، ونصِّ سورةِ الرّحمنِ، بشكلٍ عامٍّ، فالقرآنُ كلُّهُ يفسّرُ بعضُهُ بعضًا، وهوَ عبارةٌ عنْ نصٍّ واحدٍ، كما أنَّ المُتناوِلَ لِعنصرٍ منْ عناصرِ التّماسكِ يجبُ أنْ يَكونَ مُتَوَقِّدَ الذّهنِ لِعناصرَ أخرى تحقّقُ نصيّةَ النّصِّ، فموضوعُ الآياتِ، بالتّناصِّ معَ ما وردَ منْ قولِهِ: "قالوا وما الرّحمنُ"، وقولِهِ: "إنّما يعلّمُهُ بشرٌ"، أقولُ: موضوعُ الآياتِ هوَ تكذيبُ الكفّارِ بالرّحمنِ، واستهانتُهم بِقدرتِهِ، وإنكارُهمْ أنْ يكونَ القرآنُ منْ عندِ اللهِ، علّمَهُ رسولَهُ الكريمَ، تنزّهَ عمّا يقولونَ، فلمّا كانَ الأمرُ كذلكَ، كانَ منْ تَمامِ انسجامِ النّصِّ أنْ يكونَ محورُ الحديثِ، في هذهِ الآياتِ، دَحْضَ مزاعمِ الكفّارِ المتعلّقةِ بِجَنابِ اللهِ، فجاءَتْ معظمُ الإحالاتِ الضّميريّةِ، وهيَ ستٌّ، مُحيلةً إلى اللهِ، عزَّ وجلَّ، بِلفظِ الرّحمنِ، فالرّحمنُ هوَ مَدارُ الحديثِ ومركزُهُ، فتكثّفَتْ حولَهُ الضّمائرُ الّتي منْ شأنِها أنْ تفعلَ، وتعملَ في تماسكِ النّصِّ، وانسباكِهِ، وانسجامِهِ، فكانَتْ نسبةُ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى الرّحمنِ أكبرَ بكثيرٍ، منْ نسبةِ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى العناصرِ الأخرى، فالرّحمنُ هوَ النّواةُ الّتي عليْها مُعتمَدُ الكلامِ، فقدْ أدّتْ هذهِ الإحالاتُ الضّميريّةُ، إضافةً إلى الاختصارِ والخفّةِ، وتجنّبِ التّكرارِ غيرِ المفيدِ، إلى إبرازِ أساسِ النّصِّ، والجملةِ النّواةِ.

وثمَّ أمرٌ يجبُ التّنبّهُ إليْهِ، لَهُ عَلاقةٌ بالمَقامِ وسياقِ الحالِ، وهوَ وُرودُ هذهِ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى الرّحمنِ كلِّها مستترةً غيرَ بارزةٍ، وتفسيرُ ذلكَ أنَّ الرّحمنَ الّذي تغيّبونَهُ وتنكرونَهُ، أيُّها الكُفّارُ، قادرٌ على فعلِ كلِّ ذلكَ، وهوَ غائبٌ عندَكمْ، لكنَّهُ حاضرٌ، وأفعالُهُ دالّةٌ عليْهِ، فهذهِ النِّعَمُ كلُّها شاهدةٌ على حضورِهِ، يا مَنْ تحاولون، عبثًا، أنْ

تُغيّبوهُ، وتُنكروهُ، فكانَ استعمالُ هذهِ الضّمائرِ مستترةً غائبةً مناسِبًا لِمحاولةِ الكفّارِ إنكارَ الرّحمنِ وتغييبَهُ، وفي هذا خِزيٌ وتحقيرٌ لَهمْ.

وقدْ جاءَ سياقُ الآياتِ غايةً في التّماسكِ والانسجامِ، وللضّمائرِ، تضافرًا معَ المَقامِ، سُهمةٌ في هذا الانسجامِ، فقد قدّم الضّميرَ المتعلّقَ بتعليمِ القرآنِ، على خلقِ الإنسانِ؛ لِيبيّنَ لَنا أنَّ نعمةَ الدّينِ هيَ أعظمُ النّعمِ؛ لأنَّ بها صلاحَ الخلقِ في الدّنيا، وفوزَهمْ في الآخرة، كما قدّمَهُ، أيِ: الضّميرَ؛ لِيعلّمَنا اللهُ أهميّةَ العلمِ، ووضعِ المناهجِ والأسسِ، قبلَ أنْ نُقدمَ على العملِ، فقبْلَ أنْ يخلقَ اللهُ الثّقلينِ، وضعَ لهما منهجَ حياتِهما، وقدْ بادرَهما بالنّعمِ قبلَ خروجِهما إلى هذه الدّنيا، وهذا كلُّهُ يتواءَمُ مَعَ رحْمانيّةِ اللهِ ، فلمْ تكنْ لفظةُ الرّحمنِ عبثًا، فالرّحيم لا تقومُ مقامَها، وهيَ صفةٌ غيرُ مقصورةٍ على الخالقِ سبحانَهُ، فمَنْ كانَتْ صفتُهُ رحيمًا، فليسَ بالضّرورةِ أنْ يكونَ ربًّا، وبالتّالي لنْ يقدرَ على القيامِ بهذهِ الأفعالِ، والإنعامِ بِهذهِ النّعمِ، الّتي لا يقدرُ عليْها إلّا الخالقُ الرّحمنُ، فهُنا، يتضافرُ الحبكُ الدّلاليُّ، معَ السّبكِ البِنيويّ النّحويّ؛ لِتشكيلِ نصيّةِ النّصّ، وترابطِهِ، وانسجامِهِ.

والسّؤال الآنَ: ما دورُ الضّمائرِ الأخرى في القصديّةِ الدّلاليّةِ، لِهذهِ الإحالاتِ الضّميريّةِ؟ لقدْ جاءَتِ الآياتُ، كما سلفَ، منْ ضمنِ ما جاءَتْ بِهِ؛ لإثباتِ تعليمِ اللهِ رسولَهُ الكريمَ، والإنسانَ بشكلٍ عامّ، وقدْ جاءَ الضّميرُ في قولِهِ: "علّمَهُ البيانَ"، بارزًا؛ لِدلالةٍ اقتضاها السّياقُ والمَقامُ، وهوَ إبرازُ مَقامِ الرّسولِ الكريمِ.

أمّا الإحالاتُ الأخرى، فكانَتْ مساندةً ومساعدةً للإحالاتِ الرّئيسةِ المُحيلةِ إلى الرّحمنِ، فاللهُ قدْ أنعمَ هذهِ النّعمَ، على خلقِهِ منَ الإنسِ والجنّ، فجاءَ تَعدادُ نعمِ الشّمسِ والقمرِ والعدالةِ والفاكهةِ المتعدّدةِ، بِما تُحيلُ إليْها منْ ضمائرَ، وهذهِ النّعمُ، في معظمِها، أوجدَها اللهُ للإنسانِ قبلَ خلقِهِ، وإخراجِهِ إلى الحياةِ، فهيّأَ لهُ القرآنَ دستورًا للحياةِ، ومنْهُ، وعنْ طريقِهِ، جعلَ العدالةَ والمساواةَ أساسًا للتّعاملِ بينَ النّاسِ، وأعدَّ لهُ السّماءَ ونعيمَها، وبَسَطَ لهُ الأرضَ، وما فيها منْ خيراتٍ وثمارٍ وفواكهَ يتقوّى بها على الحياةِ، فكلُّ هذا النّعيمِ كانَ سابقًا للإنسانِ، خرجَ إلى الدّنيا فوجدَ نفسَهُ يتقلّبُ في هذا النّعيمِ.

وقد يُسألُ: أينَ التّرابطُ بينَ الآياتِ؟ وكيفَ اتّصلَتْ آيتا "الشّمسُ والقمرُ بِحسبانٍ"، و"والنّجمُ والشّجرُ يسجدانِ"، وهما تَخْلُوانِ منْ ضمائرَ تربطُهما بِنَواةِ الكلامِ، الرّحمنِ؟ والجوابُ عنْ ذلكَ مسطورٌ في كشّافِ الزّمخشريّ، وهذا ما يدلُّ، دِلالةً قاطعةً، على عِنايةِ علمائِنا القدماءِ، بِنصّيّةِ النّصوصِ وترابطِها، يقولُ الزّمخشريُّ: "استغنى فيهما عنِ الوصلِ اللّفظيّ بِالوصلِ المعنويّ، لمّا عُلِمَ أنَّ الحسبانَ حسبانُهُ، والسّجودَ لَهُ لا لِغيرِهِ، كأنَّهُ قيلَ: الشّمسُ والقمرُ بِحسبانِهِ، والنّجمُ والشّجرُ يسجدانِ لَهُ"،[1] فبِنيةُ الكلامِ لمْ تكنْ وحدَها هيَ الفاعلةَ في ترابطِ النّصوصِ، وإنَّما سياقُ الحالِ، والموقفِ، واستشرافُ الأنظارِ الخارجيّةِ، والمعرفةُ المبنيّةُ على العلمِ بأنَّ الحسبانَ حسبانُ اللهِ، والسّجودَ لا يكونُ إلّا لهُ، عَمَلَ في نصيّةِ النّصّ، فاستُغنيَ بالسّياقِ عنِ البِنيةِ الكلاميّةِ، فكانَ الحذفُ عاملًا منْ عواملِ تماسكِ النّصّ، كما أنَّ التّناصَّ فاعلٌ في نصّيّةِ هذا النّصّ؛ فالحسبانُ المُجْمَلُ الّذي أجملَهُ الرّحمنُ، عنِ الشّمسِ والقمرِ، قدْ فصّلَهُ اللهُ، في موضعٍ آخرَ، منْ نصّ القرآنِ الكريمِ، وذلكَ في قولِهِ، في سورةِ يس:"لا الشّمسُ ينبغي لها أنْ

[1] الزّمخشريّ، جار الله محمود (ت 538هـ) الكشّاف، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009، ص 1069.

تُدركَ القمرَ ولا اللّيلُ سابقُ النَّهارِ وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ"،[1] وهذا يعني أنَّ كلَّ معاييرِ النّصّيّةِ تتضافرُ؛ لِربطِ النّصّ، بعضِهِ بِبعضٍ، فلا انفكاكَ بينَ المعاييرِ النّصّيّةِ؛ فإنَّ بعضَها يكمّلُ بعضًا.

والمتأمّلُ في هذهِ الإحالاتِ الضّميريّةِ يدركُ أنَّها قامَتْ بوظيفةِ التّماسكِ النّصّي، في جميعِ جوانبِها، فقدْ كانَ مدى كلِّ الإحالاتِ قريبًا، وهذا الأمرُ يزيدُ النّصَّ لُحْمَةً واتّساقًا وربطًا،[2] فبُعْدُ المسافةِ بينَ الضّمائرِ ومراجعِها قد يؤدّي إلى الغموضِ بدلَ الوضوحِ، فَقُرْبُ المسافةِ عاملٌ إيجابيٌّ في تحديدِ الدّلالةِ وانسجامِ النّصّ.

وثّمَّ أمرٌ آخرُ أسهمَ في تماسكِ النّصّ، وهوَ أنَّ مرجعَ الضّميرِ في كلِّ الإحالاتِ جاءَ مُحدَّدًا، وفي النّصّيّةِ الدّاخليّةِ منْها، كانَ صريحًا، وما جاءَ غيرَ صريحٍ كانَ معلومًا لِشهرتِهِ، وهذا منْ شأنِهِ أنْ يُبقيَ مُتلقّيَ النّصّ موصولًا بِالنّصّ، ويدفعُ عنْهُ التّشتّتَ واللّبسَ.

المحورُ الثّاني: الآياتُ (30-14)

آياتُ هذا المحورِ تتناولُ مراحلَ خلقِ الإنسانِ والجانّ، وبيانِ نعمِ اللهِ عليهما، بعدَ إخراجِهما إلى الحياةِ الدّنيا، فبَعدَ أنْ تناولَ المحورُ الأوّلُ بيانَ نعمِ اللهِ على الخلقِ، قبلَ إيجادِهِمْ، ذَكَرَ، في هذا المحورِ، مبدأَ مَنْ أُعِدَّتْ لَهُمْ هذهِ النّعمُ، وما ساقَهُ اللهُ منْ نِعَمٍ عليْهِمْ، وقدْ جاءَتِ الإحالةُ الضّميريّةُ، في هذا المحورِ، خمسًا وعشرينَ مرّةً، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. الرّحمنُ: أحالَ إليْهِ خمسةُ ضمائرَ، وذلكَ في قولِهِ: "خلقَ الإنسانَ..."، و"خلقَ الجانَّ..."، و"ولهُ المنشآتُ"، و"يسألُهُ منْ في السماواتِ والأرضِ"، و"هوَ في شأن".

وجاءَتْ ثلاثةُ الضّمائرِ الأولى خفيّةً مستترةً، وجاءَتْ ثلاثةُ الضّمائرِ الأخيرةُ بارزةً، وكلُّها جاءَتْ بِصيغةِ الغائبِ المفردِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وقدْ كانَتِ الإحالاتُ إلى الرّحمنِ إحالاتٍ نصيّةً، قبليّةً، وذاتَ مدًى قريبٍ، وكانَ مرجعُ الضّميرِ فيها كلّها مُحدَّدًا صريحًا.

2. الثّقلانِ: أحالَ إليْهِ أربعَةَ عشر ضميرًا، كلُّها موجودةٌ في تَكرارِ قولِهِ: "فبأيّ آلاءِ ربّكما تكذّبانِ"، المكررةِ سبعَ مرّاتٍ في هذا المحورِ، والضّميرانِ المَكرورانِ المُحيلانِ إلى الإنسِ والجنّ هما ألفُ الاثنينِ، وكافِ الخطابِ في كَلِمَتَيْ (ربّكما)، و(تكذّبانِ)، وقدْ جاءَتِ الضّمائرُ بارزةً، بِصيغةِ المخاطَبِ، ومتطابقةً تثنيةً معَ المُحالِ إليْهِ، الثَّقَلَيْنِ، وقدْ جاءَتِ الإحالةُ مَقاميّةً؛ كونَها تُحيلُ إلى مخاطَبٍ غيرِ مَذكورٍ في النّصّ، ومنْ هُنا، فمرجعُ الضّميرِ محدّدٌ غيرُ صريحٍ.

3. البحرانِ: أحالَ إليْهِ أربعةُ ضمائرَ، هيَ ألفُ الاثنينِ في قولِهِ: "مَرَجَ البحرينِ يلتقيانِ"، و(هما) في قولِهِ: "بينَهما برزخٌ..."، وألفُ الاثنينِ في قولِهِ: "لا يَبْغِيانِ"، و(هما) في قولِهِ: "يَخرُجُ منْهما اللّؤلؤُ والمَرجانُ"، وقدْ جاءَتِ

[1] سورة يس: 40

[2] ينظر: عفيفيّ، الإحالة في نحو النّصّ، ص 43.

الضّمائرُ كلُّها بارزةً، بِصيغةِ الغائبِ المثنّى، تطابقًا معَ المُحال إليْهِ المُثنّى، وجاءَتِ الإحالةُ نصيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحدَّدًا صريحًا.

4. الأرضُ: أحالَ إليْها ضميرٌ واحدٌ، هوَ الهاءُ، في قولِهِ: "كلُّ مَنْ عليْها فانٍ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بصيغةِ الغائبِ، ومُطابقًا إفرادًا وتأنيثًا لِلمُحالِ إليْهِ، الأرضِ، وقدْ جاءَتِ الإحالةُ مَقاميّةً؛ فالأرضُ مُحالٌ إليْهِ غيرُ مَذكورٍ في النّصّ؛ وقدْ حَسُنَ ذلكَ؛ لأنَّ مُنْشِئَ الخِطابِ على ثِقةٍ بِعلمِ المخاطَبِ وفهمِهِ، ومنْ هُنا، فقدْ كانَ مرجعُ الضّميرِ محدّدًا غيرَ صريحٍ.

5. الرّسولُ: أحالَ إليْهِ ضميرٌ واحدٌ، في قولِهِ: "ويبقى وجهُ ربِّكَ ذو الجلالِ والإكرامِ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بِصيغةِ المخاطَبِ، ومُطابقًا إفرادًا وتذكيرًا لِلمُحالِ إليْهِ، أمّا الإحالةُ فهيَ مَقاميّةٌ؛ كونَ المُحالِ إليْهِ، الرّسولِ، يقعُ خارجَ النّصّ، ومفهومًا منَ المَقامِ، واستشرافِ الأنظارِ الخارجيّةِ؛ فمعلومٌ، بِالضّرورةِ، أنَّ النّصَّ القرآنيَّ إنَّما هوَ خِطابٌ لِلرّسولِ.

والسّؤالُ الآنَ: كيفَ أسهمَتْ هذهِ الإحالاتُ الضّميريّةُ، في تماسكِ آياتِ هذا المحورِ، بعضِها ببعضٍ، وتماسكِها وترابطِها معَ آياتِ المحورِ السّابقِ؟

ذكرْنا، قبْلًا، أنَّ نزولَ آياتِ سورةِ الرّحمنِ كانَ ردًّا على منْ أنكروا الرّحمنَ، في قولِهِمْ: "وما الرّحمنُ؟"، وتفصيلًا لِلمليكِ المقتدرِ، الّذي اختُتِمَتْ بِهِ سورةُ القمرِ السّابقةُ لِسورةِ الرّحمنِ، فالرّحمنُ هوَ مَدارُ الحديثِ، وهوَ الجملةُ النّواةُ في النّصّ، فبِهِ، وعليْهِ، يتماسكُ النّصُّ، ويترابطُ، والنّاظرُ في إحالاتِ هذا المحورِ يجدُ أنَّ الإحالةَ قدْ أسهمَتْ في تماسكِ النّصّ، فقدْ وردَتْ ستُّ إحالاتٍ، تُحيلُ إلى الرّحمنِ، نواةِ النّصّ، ومرتَكَزِ الكلامِ، فلمْ ينفسخْ نسيجُ آياتِ هذا المحورِ، عنْ نسيجِ آياتِ المحورِ السّابقِ، فما يزالُ النّصُّ مترابِطًا، ومتلاحِمًا، ومتسلسِلًا، فالمحورُ الأوّلُ تحدّثَ عنْ نِعَمِ اللهِ، على الثَّقَلَيْنِ، قبلَ خلْقِهما، وتابعَ تَعدادَ النِّعَمِ، عليْهما، في هذا المحورِ، بعدَ خلْقِهما وإيجادِهما، وقدْ كانَتِ الضّمائرُ المُحيلةُ إلى الرّحمنِ، المليكِ المقتدِرِ، مكثّفةً في كلا المحورينِ؛ لإبرازِ رحمانيّتِهِ منْ جهةٍ، ومُلكِهِ واقتدارِهِ منْ جهةٍ أخرى، فالمليكُ المقتدرُ منْ لزوميّاتِ الرّحمنِ.

أمّا بالنّظرِ إلى الضّمائرِ المُحيلةِ إلى الثّقلينِ، فإنَّنا نجدُها جاءَتْ أكثرَ تكثيفًا، وَوُرودًا منَ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى الرّحمنِ، وهذا لا يَسْلُبُ النّصَّ ترابطَهُ، بلْ يُقوّيهِ، فالضّمائرُ المُحيلةُ إلى الرّحمنِ ما زالَتْ تَرِدُ، في كثيرٍ منَ الآياتِ والعباراتِ، على امتدادِ السّورةِ الكريمةِ، لكنَّ ما جعلَ ضمائرَ الثّقلينِ، في هذا المحورِ، تزدادُ كثافةً ووُرودًا أنَّ هذا المحورَ يتحدّثُ عنْ خلقِ الثّقلينِ، الإنسِ والجانّ، كما يتحدّثُ عنِ النِّعَمِ الظّاهرةِ الّتي أنعمَ الرّحمنُ بِها عليْهما، فكانا هما نواةَ الكلامِ، ومَدارَ الحديثِ، في هذا المحورِ، فَهُما المخاطَبُ المباشرُ، في الخِطابِ القرآنيّ، وكانَتْ غايةُ الرّحمنِ تأكيدَ نِعَمِهِ عليْهما، فبعدَ إبرازِ كلِّ نعمةٍ كانَ يذكّرُهما بِها، فجاءَتِ إحالاتُ الثّقلينِ الكثيرةُ مناسِبةً لِلمَقامِ، وسياقِ الحديثِ، معَ التّنبّهِ إلى استمرارِ ذكرِ النّواةِ الأولى، والرّئيسةِ الّتي تنتظمُ السّورةَ كلَّها، ونَقْصِدُ بذلكَ الرّحمنَ، جلَّ جلالُهُ، بوساطةِ تَكرارِ لفظةِ (ربِّكما) في قولِهِ: "فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذّبانِ".

أمّا الضّمائرُ المُحيلةُ إلى البحرينِ، فكانَ وجودُها مُكمّلًا للضّمائرِ المُحيلةِ إلى الرّحمنِ، والثّقلينِ، فمِنْ بيْنِ نِعَمِ اللهِ، على الثّقلينِ، وُجودُ نوعَيِ الماءِ اللّذينِ يحتاجونَهما، فلمْ تأتِ هذهِ الضّمائرُ فَجَّةً في النّصّ، وإنَّما كانَتْ مُنقادةً وتابعةً للنِّعَمِ الّتي أنعمَ بِها اللهُ على الثّقلينِ، منْ لؤلؤٍ، ومرجانٍ، وغيرِهما منْ منافعِ هذينِ البحرينِ. [1]

ثمَّ لمّا أنبأَ المحورانِ، الأوّلُ والثّاني، عن نِعَمِ الرّحمنِ، المليكِ المقتدرِ، على الإنسِ والجنّ، قبلَ الحياةِ، وفي أثنائِها، ذكّرَهمُ المليكُ المقتدرُ بأنَّ كلَّ مَن على هذهِ الأرضِ سائِرٌ إلى زوالٍ وفَناءٍ، ولنْ يَبْقى إلا وجهُ المليكِ المقتدرِ، ووجهُ النّعمةِ، هُنا، هوَ مَجيءُ وقتِ الجزاءِ عَقِبَ ذلكَ، وقدْ جاءَتِ الإحالةُ إلى الأرضِ مَقاميّةً، واقعةً خارجَ النّصّ؛ لِأنَّ الأرضَ يومَ الزّوالِ ستقعُ خارجَ هذهِ الدّنيا، فهي إلى زوالٍ، فناسبَ زوالُها تغييبَ ذكرِها في بِنيةِ النّصّ، فالسّياقُ، بِشقّيْهِ، المَقاليّ والمَقاميّ، مُتضافرانِ؛ لِتحقيقِ نصّيّةِ النّصّ.

وقدْ جاءَ الضّميرُ المُحيلُ إلى الرّسولِ؛ لِغرضِ سبكِ النّصّ وانسجامِهِ، فالقرآنُ، في عمومِهِ، خِطابٌ للرّسولِ، وبِهِ، ومنْ خلالِهِ، ينتقلُ الخطابُ إلى جميعِ الخلقِ، وكانَ الضّميرُ مناسبًا في مكانِهِ؛ إذْ إنَّ الرّسولَ مكلَّفٌ بِتبليغِ الخلقِ، بالزّوالِ، وانتهاءِ نعيمِ الدّنيا، لِلاستعدادِ لنعيمٍ آخرَ، أوْ شقاءٍ، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا؛ للدّلالةِ على بروزِ الرّسولِ في حياةِ الخلائقِ، على امتدادِ الدُّنيا، فهوَ حاضرٌ دائمًا، وقدْ ناسبَ حضورُهُ بروزَ الضّميرِ.

وقدْ كانَ لِوُرودِ الضّمائرِ مطابِقةً لِعناصرِها المُحيلةِ إليْها، منْ حيثُ العددُ والجنسُ والجهةُ، ولِورودِ المرجعِ فيها مُحدَّدًا، وفي أغلبِها مُحدَّدًا صريحًا، كانَ لكلِّ ذلكَ سُهمةٌ في ترابطِ المتلقّي معَ النّصّ، وعدمِ تشتيتِهِ، وإحداثِ اللّبسِ عندَهُ.

وليسَتِ الإحالةُ، وحدَها، هيَ الفاعلةَ في تماسكِ نسيجِ النّصّ وترابطِهِ، بلْ إنَّ قولَهُ: "ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرامِ"، يتناصُّ معَ قولِهِ تعالى: "ولا تَدْعُ مَعَ اللهِ إلهًا آخَرَ لا إلهَ إلّا هوَ كلُّ شيءٍ هالكٌ إلّا وَجْهَهُ لهُ الحكْمُ وإليْهِ تُرْجَعونَ"،[2] فآيةُ سورةِ الرّحمنِ هيَ تلخيصٌ وتوضيحٌ للآيةِ الأخرى، فالتّناصُّ هوَ، أيضًا مِعيارٌ فاعلٌ في نصّيّةِ النّصّ، وقدْ كانَ حضورُهُ وافرًا في سورةِ الرّحمنِ.

المحورُ الثّالثُ: الآياتُ (40-31)

ذكرْنا أنَّ آياتِ هذا المحورِ تتحدّثُ عنِ انتهاءِ الخلقِ، وذكرِ ما يتعلّقُ بأحوالِ الآخرةِ، وقبلَ الإشارةِ إلى الإحالاتِ الضّميريّةِ، في هذا المحورِ، أريدُ أنْ أشيرَ إلى التّرابطِ الدّلاليّ، والحبكِ الانسجاميّ، بينَ نهايةِ المحورِ السّابقِ، وبدايةِ هذا المحورِ، فالمحورُ السّابقُ انتهى بِالحديثِ عنْ أنَّ نهايةَ المخلوقاتِ، الجنّ والإنسِ، تحديدًا في هذهِ السّورةِ، هيَ الفناءُ، والزّوالُ منَ الدّنيا، والموتُ، وجاءَتْ بدايةُ هذا المحورِ للحديثِ عنِ التّفرغِ للثّقلينِ، ومحاسبتِهما في الآخرةِ، على ما قدّموا في الدّنيا، وهذا خَلَقَ انسجامًا بينَ المَحاورِ، وأبقى نسيجَ النّصّ متواصِلًا، وقدْ ساعدَتِ

[1] ينظر: الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرشاني، ط1، مؤسّسة الرّسالة، 1994م، 184/7، وينظر: ابن عاشور، محمّد الطّاهر، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، 1984م، 250/27.

[2] القصص: 88.

الإحالاتُ، على التّرابطِ الشكليّ لنسيجِ النّصّ، هذا التّرابط الشّكليّ الّذي قادَ إلى التّرابطِ الدّلاليّ، فَبَدَتْ سورةُ الرّحمنِ نصًّا واحدًا متسلسلًا، فالضّمائرُ تَبينُ عنْ ترابطِ النّصّ، أمّا غيابُها فيُظْهِرُ الجُمَلَ منفصلةً، سابحةً وحدَها، كأنَّها جملٌ مُفكَّكةٌ لا علاقةَ لِبعضِها ببعضٍ.

أمّا الإحالاتُ الضّميريّةُ، في هذا المحورِ، فقدْ وَرَدَتْ عشرينَ مرّةً، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. الرّحمنُ: أحالَ إليْهِ ضميرٌ واحدٌ، مستترٌ، بِصيغةِ المتكلّمِ الجمعِ، في قولِهِ: "سنفرغُ لكمْ أيّها الثّقلانِ"، وكانَتِ الإحالةُ مَقاميّةً؛ لأنَّها أحالَتْ إلى غيرِ مَذكورٍ في النّصّ، ولا تَطابُقَ ظاهريًّا، هُنا، بينَ الضّميرِ ومرجعِه، وقد جاءَ المرجعُ مُحَدَّدًا غيرَ صريحٍ.

2. الثّقلانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ثلاثةَ عَشَرَ ضميرًا، هيَ:

– الضّميرُ (كُم) في قولِهِ: "سنفرغ لكم أيّها الثّقلان"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، مرّةً واحدةً بصيغةِ الجمعِ، والمحالُ إليْهِ مثنًّى، لكنَّ صيغةَ الجمعِ ناسبَتِ المَقامَ والسّياقَ؛ كونَ المقصودِ جماعةَ الإنسِ والجنّ، وهوَ مجموعٌ عديدٌ، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً؛ كونَها أحالَتْ إلى مَذكورٍ في النّصّ، وبعديّةً؛ كونَها أحالَتْ إلى مَذكورٍ لاحقٍ في النّصّ، فقدْ ورد الضّميرُ (كم) قبلَ المُحالِ إليْهِ، الثّقلينِ، وجاءَ مدى الإحالةِ قريبًا، ومرجعُ الضّميرِ جاءَ مُحَدَّدًا صريحًا.

– الضّميرُ (كُما) في تَكرارِ الآيةِ: "فبأيّ آلاءِ ربّكما تكذّبانِ"، فقدْ تكرّرَتِ الآيةُ خمسَ مرّاتٍ، في هذا المحورِ، وأُحيلَ إلى الثّقلينِ، بِهذا الضّميرِ، مرّةً سادسةً في قولِهِ: "يُرسَلُ عليْكما شُواظٌ مِنْ نارٍ ونحاسٌ فلا تنتصرانِ"، وقدْ جاءَتِ الضّمائرُ بارزةً، بِصيغةِ المثنّى المخاطَب، تطابقًا معَ لفظِ الثّقلينِ المثنّى، وجاءَتِ الإحالاتُ جميعُها نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وكانَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

– الضّميرُ ألفُ الاثنينِ في تَكرارِ الآيةِ: "فبأيّ آلاءِ ربّكما تكذّبانِ"، فقدْ تكرّرَ خمسَ مرّاتٍ، وأُحيلَ إلى الثّقلينَ بهذا الضّميرِ، مرّةً سادسةً، في قولِهِ: "فلا تَنتصرانِ"، وقدْ جاءَتِ الضّمائرُ بارزةً، بصيغةِ المثنّى المخاطَبِ، تطابقًا معَ لفظِ الثّقلينِ المثنّى، وجاءَتِ الإحالاتُ جميعُها نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وكانَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

3. معشرُ الجنِّ والإنسِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ أربعةُ ضمائرَ، هيَ:

– الضّميرُ (تُم): وردَ مرّةً واحدةً في قولِهِ: "إنِ استطعْتُمْ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بصيغةِ الجمعِ المخاطَبِ، تطابقًا معَ المُحال إليْهِ، وكانَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

– الضّميرُ واوُ الجماعةِ: تكرّرَ ثلاثَ مرّاتٍ، في قولِهِ: تَنفُذوا"، و"فانفذوا"، و"لا تنفذونَ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ فيها كلّها بارزًا، بِصيغةِ الجمعِ المخاطَبِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ محدّدًا صريحًا.

4. إنسٌ أوْ جانٌّ: أحالَ إلى هذا العنصرِ، ضميرٌ واحدٌ، هوَ الهاءُ، في قولِهِ: "لا يُسأَلُ عنْ ذنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بصيغةِ المفردِ الغائبِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، فالمُحالُ إليْهِ فريقُ الإنسِ منفردًا، وفريقُ الجنِّ منفردًا، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً بعديّةً؛ كونَ الضّميرِ أحالَ إلى مَذكورٍ لاحقٍ في النّصّ؛ فالإنسُ أوِ الجنُّ لاحقٌ في الكلامِ، للضّميرِ المُحيلِ إليْهما، كما جاءَتِ الإحالةُ ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

والحقيقةُ الّتي يجبُ الإشارةُ إليْها، أنَّ العناصرَ الإشاريّةَ المُحالَ إليْها في النّقاطِ الثّلاثِ السّابقةِ هيَ عنصرٌ إشاريٌّ واحدٌ، هوَ الثّقلانِ: الإنسُ والجانُّ، ولكنْ جاءَ التّعبيرُ عنْهُ بألفاظٍ متعدّدةٍ، فرضَها مَقامُ الآياتِ.

5. السّماءُ: أحالَ إليْها ضميرٌ واحدٌ، هوَ الضّميرُ المستترُ (هيَ)، في قولِهِ: "فإذا انشقَّتِ السّماءُ فكانَتْ وردةً كالدّهانِ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ مستترًا، بصيغةِ الغائبِ المفردِ المؤنّثِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، السّماءِ، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

وبعدَ هذهِ الدّراسةِ الإحصائيّةِ، كيفَ أسهمَتِ الضّمائرُ في التّماسكِ الشكليّ والدّلاليّ للنّصّ؟ لا شكّ أنَّ وُرودَ عشرينَ ضميرًا، في عشْرِ آياتٍ، يربطُ النّصَّ بعضَهُ ببعضٍ، فمتلقّي الخِطابِ، أوِ القارئُ، يَظلُّ ذهنُهُ مشدودًا إلى النّصّ، أوِ الخِطابِ، مِنْ مُبتدئِهِ حتّى مُنتهاهُ؛ بوساطةِ تكثيفِ هذهِ الضّمائرِ الّتي لَحَمَتْ نسيجَ النّصّ، لِتتحصّلَ عندَهُ الدّلالةُ، فلا ينفكُّ عنْها، فهذهِ الضّمائرُ حافظَتْ على عدمِ انفساخِ النّسيجِ، وأبقَتْ آخرَهُ مَوْصولًا بأوّلِهِ.

وقدْ أدَّتْ هذهِ الضّمائرُ، أوْ لنقلِ: الإحالات الضّميريّة، تماسكًا سبكيًّا، قادَ إلى تماسكٍ وترابطٍ دِلاليٍّ؛ فالضّميرُ المُحيلُ إلى اللهِ، المليكِ المقتدرِ، الّذي أخبرَتْ عنْهُ نهايةُ السّورةِ السّابقةِ، القمرِ، جاءَ بِصيغةِ الجمعِ، في قولِهِ: "سنفرُغُ"، فالرّحمنُ، بعدَ إنعامِهِ على الجِنّ والإنسِ، قبلَ خلقِهما، وبعدَ خلقِهما وإخراجِهما إلى الدّنيا، أحدثَ أهوالَ يومِ القيامةِ، منَ انشقاقِ السّماءِ وغيرِهِ، وتفرّغَ لِجزاءِ الثّقلينِ، وحسابِهما، فناسبَتِ الإحالةُ إلى الرّحمنِ المفردِ، بِضميرِ جمعٍ، المَقامَ والسّياقَ؛ فأحداثُ أهوالِ القيامةِ، مِنْ تَشقّقِ السّماءِ، وغيرِهِ، لا يقومُ بها إلّا مليكٌ مقتدرٌ ذو جَبَروتٍ وعَظَمَةٍ، فالضّميرُ (نحن) الدّالُّ على التّفخيمِ والعظمةِ جاءَ مناسبًا لِلسّياقِ والمَقامِ، فالضّمائرُ لا تفعلُ في نصّيّةِ النّصّ منْ حيثُ الشّكلُ فقطْ، وإنّما تفعلُ فيهِ منْ حيثُ الدّلالةُ أيضًا.

وفي استعمالِ لفظةِ (نفرُغُ) دونَ غيرِها، منَ الألفاظِ، حبكٌ دِلاليٌّ، وبلاغةٌ قرآنيّةٌ عجيبةٌ، فهذهِ اللّفظةُ تُستعمَلُ عندَ انقضاءِ الشّغلِ الّذي كانَ الإنسانُ مشتغلًا بِهِ،[1] فلمّا انتهى شغلُ الإنسِ والجنّ، في الدّنيا، تفرّغَ الرّحمنُ المليكُ المقتدرُ لجزائِهِمْ وحسابِهِمْ.

أمّا الضّمائرُ الكثيرةُ الّتي أحالَتْ إلى الجنّ والإنسِ، بأشكالٍ متعدّدةٍ، فقدْ أسهمَتْ، سُهمةً كبيرةً، في تماسكِ النّصّ، وكثرتُها لمْ تكنْ نَفَلًا، ولا عَبَثًا، وإنّما كانَ الإنسُ والجنُّ همْ مدارَ الحديثِ، والجملةَ النّواةَ، بالإضافةِ إلى الرّحمنِ، النّواةِ الكُبرى، وقدْ تفرّغَ المليكُ المقتدرُ لِحسابِهِمْ وجزائِهِمْ، فكثرةُ الضّمائرِ المُحيلةِ إليْهِمْ ناسبَتْ مَقامَ الآياتِ

[1] ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط، 192/8.

وسياقَها، ونلحظُ أنَّ جميعَ الضّمائرِ المُحيلةِ إليْهمْ جاءَتْ بارزةً، في حين أنَّ الضّميرَ الوحيدَ المُحيلَ إلى الرّحمنِ المليكِ المقتدرِ جاءَ مستترًا خفيًّا، ومجيءُ هذهِ الضّمائرِ على هذا النَّحوِ يزيدُ في ترابطِ النّصّ الدّلاليّ، فهيَ رسالةٌ ربّانيّةٌ، لِمعشرِ الجنّ والإنسِ، أنّكمْ لنْ تَستطيعوا الإفلاتَ منْ جزائي وحسابي، حتّى وأنتمْ مجتمعونَ بارزونَ، وأنا فردٌ واحدٌ، فالإحالةُ إلى المليكِ، بِضميرِ الجمعِ، تَفوقُ كلَّ الضّمائرِ المجموعةِ البارزةِ المُحيلةِ إلى الإنسِ والجنّ، وقدْ عدّدَ التّعبيرُ القرآنيُّ تَسميتَهم مرّةً بِمعشرِ الإنسِ والجنّ، ومرّةً بِالثّقلينِ، ومرّةً بِالإنسِ والجنّ دونَ كلمةِ مَعشرٍ؛ لِلدّلالةِ على أنَّهمْ على أيّ هيئةٍ كانوا، فإنَّ اللهَ غالبُهمْ، وجامعُهمْ، ومُجازيهمْ، كلٌّ بِما يستحقُّ.

وفي وُرودِ كلمةِ (الثّقلانِ)، مرّةً وحيدةً، في السّورةِ، عندَ تفرُّغِ المليكِ المقتدرِ لِحسابِهمْ، حبكةٌ دِلاليّة تتمثّلُ في أنَّ استعمالَ هذهِ اللّفظةِ، في مَقامِ الحسابِ والجزاءِ، يدلُّ على ثِقَلِ الإنسِ والجنّ بِالذُّنوبِ، فأيُّ تماسكٍ دلاليٍّ أعظمُ منْ هذا؟

وقدْ جاءَتْ كلُّ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى الإنسِ والجنّ، بصيغةِ المخاطَبِ؛ تحقيقًا لأمرٍ مَقاميٍّ سياقيٍّ دِلاليٍّ، فالإنسُ والجنُّ، يومَ الحِسابِ، يكونونَ بارزينَ، أمامَ ربّهمْ، قريبينَ منْهُ، يخاطبُهمْ خِطابًا مباشرًا، فضميرُ الخِطابِ قدِ اسْتدْعاهُ المَقامُ.

أمّا الضّميرُ الوحيدُ المُحيلُ إلى السّماءِ، فكانَ مُكَمِّلًا للتّرابطِ الشكليّ والدّلاليّ للنّصّ، فالمَقامُ مَقامُ حديثٍ عنْ يومِ القيامةِ وأهوالِها، ومنْ بيْنِ أهوالِها انشقاقُ السّماءِ، وقدْ أسهمَ الضّميرُ المُحيلُ إليْها في التّرابطِ الدّلاليّ، كما سبقَ، فجاءَ استعمالُهُ غائبًا مستترًا؛ لِيتناسبَ معَ مقامِ انشقاقِ السّماءِ وزوالِها، فمَقامُ زوالِ السّماءِ ناسبَهُ ضميرٌ غائبٌ مُختَفٍ، يُنْبِئُ عن تغييبِ السّماءِ، فتباركَ اللهُ أحكمُ الحاكمينَ.

وممّا كانَ لهُ سُهمةٌ في تماسكِ النّصّ، وترابطِ أجزائِهِ، أنَّ كلَّ مراجعِ الضّمائرِ جاءَتْ مُحَدَّدةً صريحةً، وكلَّ الإحالاتِ جاءَ مَداها قريبًا، الأمرُ الّذي جعلَ المتلقّيَ موصولًا بالنّصّ.

المحورُ الرّابعُ: الآياتُ (45-41)

تتناولُ آياتُ هذا المحورِ مَصيرَ المجرمينَ، في الآخرةِ، بَعْدَ الحسابِ، والمَلحوظُ أنَّ نصَّ السّورةِ محبوكٌ حبكًا مَتينًا، فَمِحورُها الرّئيسُ بيانُ قدرةُ اللهِ، وذكْرُ نِعَمِهِ على الإنسِ والجنّ، فابتدأَ النّصُّ بِالنِّعَمِ قبلَ الخلْقِ، مُرورًا بِالنّعمِ بعدَ الخلقِ، وعندَ انتهاءِ الخلقِ، تحدّثَ عنْ مرحلةٍ فاصلةٍ بينَ الدّنيا والآخرةِ، وهيَ يومُ القيامةِ والحسابِ، ثُمَّ في هذا المحورِ يتسلسلُ الكلامُ؛ لِبيانِ مصيرِ فريقٍ منَ الخلْقِ، وهوَ فريقُ المجرمينَ الّذينَ أعرضوا عنْ دلائلِ قدرةِ اللهِ، وأنكروا فضلَهُ ونِعمَهُ.

وقدْ بلغَ عددُ الإحالاتِ الضّميريّةِ، في هذا المحورِ، ثمانيَ إحالاتٍ، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. المجرمونَ: أحالَ إليْهِ ضميرانِ اثنانِ، هما الضّميرُ (همْ)، في قولِهِ: "يُعرَفُ المجرمونَ بِسيماهُمْ"، وهوَ ضميرٌ بارزٌ، بِصيغةِ الغائبِ الجمعِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، والضّميرُ واوُ الجماعةِ في قولِهِ: "يَطوفونَ بيْنَها وبيْنَ

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

حَميمٍ آنٍ"، وهوَ، كذلكَ، ضميرٌ بارزٌ، بِصيغةِ الغائبِ الجمعِ، وكانَتِ الإحالةُ، في الضّميرينِ، إحالةً نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ، فيهما، مُحَدَّدًا صريحًا.

2. جَهَنَّمُ: أحالَ إليْها ضميرٌ واحدٌ، هوَ الهاءُ، كُرِّرَ، مرّتينِ، في قولِهِ: "هذهِ جهنّمُ الّتي يُكذّبُ بِها المجرمونَ"، و"يَطوفونَ بيْنَها وبيْنَ حَميمٍ آنٍ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ، في المرّتينِ، بارزًا، بِصيغةِ الغائبِ المفردِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيةً قبليّةً ذاتَ مدًى قريبٍ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ، في المرّتينِ، مُحَدَّدًا صريحًا.

3. الثّقلانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ الضّميرُ كافُ الخطابِ، مرّتينِ، والضّميرُ ألفُ الاثنينِ، مرّتينِ، في تَكرارِ قولِهِ: "فبِأيّ آلاءِ ربّكما تُكذّبانِ"، وجاءَتِ الضّمائرُ بارزةً، بصيغةِ المُخاطَبِ المثنّى، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وكانَتِ الإحالاتُ نصّيّةً قبليّةً؛ كونَها تحيلُ إلى مَذكورٍ في النّصّ، هوَ لفظُ (الثّقلانِ) الواردُ في المحورِ السّابقِ، وذاتَ مدًى بعيدٍ؛ لِوجودِ الفاصلِ الجمليّ بينَ الضّمائرِ ومرجعِها، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

لقدْ جاءَتِ الإحالاتُ الضّميريّةُ، في هذا المحورِ قليلةً؛ نظرًا لصغرِ حَجمِ المحورِ، لكنْ معَ ذلكَ، لمْ تَغِبِ الضّمائرُ عنِ النّصّ، بلْ حضرَتْ؛ لِتقوم بِدوْرِ التّماسكِ النّصّيّ الشّكليّ المُفضي إلى التّماسكِ الدّلاليّ، فالضّمائرُ جعلَتِ المتلقّيَ مَوْصولًا بِالنّصّ، ومشْدودًا إليْهِ، ولمّا كانَ مضمار هذا المحورِ هوَ الحديث عنْ فريقِ المُجرمينَ، جاءَتِ الإحالاتُ عائدةً على المجرمينَ، وما يتعلّقُ بِهِمْ، ونَقْصِدُ، بذلكَ، جهنّمَ الّتي هيَ ما أعدَّهُ المليكُ المقتدرُ للمجرمينَ.

وقد ذكرْنا، غيرَ مرّةٍ، أنَّ التّماسكَ النّصّيَّ الظّاهريَّ، والتّماسكَ الدّلاليَّ يتضافرانِ؛ لِتحقيقِ نصّيّةِ النّصّ، فبالنّظرِ إلى آياتِ هذا المحورِ، يَخْلُصُ النّاظرُ إلى دِلالةٍ عميقةٍ منْ قِصَرِ هذا المحورِ، فالرّحمنُ المليكُ المقتدرُ لا يريدُ أنْ يَعبأَ، طويلًا، بِهذهِ الفئةِ، الّتي أعرضَتْ عنْ نِعَمِ اللهِ، وأنكرَتْ قدرتَهُ وعذابَهُ، فجاءَ الحديثُ عنْهمْ مقتَضَبًا؛ إهمالًا لِشأنِهِمْ، وتصغيرًا وإذلالًا لَهمْ، لِينتقلَ، سريعًا، إلى الحديثِ عنْ فريقٍ مُوازٍ، هوَ فريقُ المتّقينَ، وقدْ ساعدَتِ الضّمائرُ على إنتاجِ هذا المعنى، معنى الإهانةِ والإذلالِ؛ إذْ جاءَتْ مُحيلةً إليْهِمْ بصيغةِ الغائبِ، دِلالةً على أنَّهمْ مُغيَّبونَ في الآخرةِ، لا وَزْنَ لَهُمْ.

كما أنَّ الحبكَ الدّلاليَّ يجعلُ دارسَ سورةِ الرّحمنِ موصولًا بالسّورةِ الّتي قبلَها، ففي سورةِ القمرِ، جاءَ الحديثُ عنِ المجرمينَ، قَبْلَ الحديثِ عنِ المتّقينَ، فراعَتْ سورةُ الرّحمنِ التّرتيبَ الحاصلَ في سورةِ القمرِ.

وقدْ أسهمَتِ الضّمائرُ في تماسكِ النّصّ عنْ طريقِ تطابقِها معَ مراجعِها، وتحديدِ هذهِ المَراجعِ وصراحتِها، وكذلكْ عنْ طريقِ الإحالاتِ ذاتِ المدى القريبِ، حتّى ذاتُ المدى البعيدِ جاءَتْ واضحةً؛ لِعودِها على مرجعٍ مستمرٍّ أصبح مشهورًا في النّصّ، فهو مرجعٌ توجّهَ إليْهِ خِطابُ الآياتِ.

وقدْ يُسألُ: سياقُ السّورةِ تَعدادُ النِّعَمِ، فأينَ النِّعَمُ في عذاب المجرمين؟ والجوابُ عنْ ذلكَ يكمُنُ في أنَّ الرّحمنَ المُنعمَ أعدَّ للمتّقينَ المُقرّينَ بِنِعَمِهِ جنّاتٍ ونَهَرًا، أمّا المجرمونَ، الّذينَ أنْكروا نِعَمَ اللهِ وقدرتَهُ، فأعدَّ لَهمْ جهنّمَ، وفي هذا نعمةٌ جديدةٌ تُضافُ إلى المتّقينَ، فقدْ مايزَ وفاضلَ بيْنَهمْ وبيْنَ مُنكري نِعْمَتِهِ، فما زالَتِ النِّعَمُ تتوالى.[1]

المحورُ الخامسُ (أ): الآياتُ (61-46)

المحورُ الخامسُ هوَ أطولُ المَحاورِ، وفيهِ إسهابٌ كبيرٌ، وهوَ يتناولُ بيانَ نِعَمِ اللهِ على الإنسِ والجنِّ، في المَآلِ الأخيرِ، وهوَ مَقَرُّ الآخرةِ، بعدَ أنْ فرغَ منْ بيانِ النِّعَمِ قبْلَ الخلْقِ، وبعْدَ الخلْقِ، في الحياةِ الدُّنيا، وبِسبب طولِ هذا المحورِ، وتنوّعِهِ؛ فقدْ آثرْتُ تقسيمَهُ إلى قسمينِ، كما جاءَ في نصِّ السّورةِ، وسيكونُ القسمُ الأوّلُ هوَ مِضمار الحديثِ في هذهِ المُباحثةِ منَ الدّراسةِ.

جاءَ عديدُ الإحالاتِ الضّميريّةِ، في هذا القسْمِ، منَ المحورِ، أربعًا وعشرينَ إحالةً، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. الجنّتانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ضميرانِ: الأوّلُ (هما)، مُكَرَّرًا، مرّتينِ، في قولِهِ: "فيهما عيْنانِ تجريانِ"، و"فيهما منْ كلِّ فاكهةٍ زوجانِ"، وجاءَتِ الإحالةُ بِهذا الضّميرِ المُكَرَّرِ إحالةً بارزةً، بِصيغةِ الغائبِ المثنّى، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وهيَ إحالةٌ نصّيّةٌ قبليّةٌ، والضّميرُ الثّاني المُحيلُ إلى الجنّتينِ هوَ نونُ النّسوةِ في قولِهِ: "فيهنَّ قاصراتُ الطّرفِ..."، والإحالةُ، بِهذا الضّميرِ، إحالةٌ بارزةٌ، بِصيغة الجمعِ الغائبِ، وقدْ جاءَ الضّميرُ مَجْموعًا، والمُحالُ إليْهِ، الجنّتانِ، مثنًّى؛ لأنَّ كلَّ فردٍ منَ المتّقينَ لهُ جنّتانِ، فَصَحَّ أنَّها جِنانٌ كثيرةٌ، كما أنَّ كلَّ موضعٍ منَ الجنّتينِ جنّةٌ،[2] فناسبَ الجمعُ المَقامَ والسّياقَ، ولا مخالفةَ بينَ الضّميرِ ومرجعِهِ، وقدْ جاءَتْ كلُّ الإحالاتِ ذاتَ مدًى قريبٍ، وكانَ مرجعُ الضّميرِ فيها كلِّها مُحَدَّدًا صريحًا.

2. منْ خافَ مَقامَ ربِّهِ: أحالَ إليْهِ ضميرانِ: الأوّلُ هوَ الهاءُ، وهوَ ضميرٌ بارزٌ، بِصيغةِ المفردِ الغائبِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ في قولِهِ: "ولِمَنْ خافَ مَقامَ ربِّه جنّتانِ"، والإحالةُ نصيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى قريبٍ، ومرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدٌ صريحٌ.

والضّميرُ الثّاني هوَ (همْ) في قولِهِ: "لمْ يطمثْهنَّ قبلَهمْ إنسٌ ولا جانٌّ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بِصيغةِ الجمعِ الغائبِ، وقدْ ناسبَ الجمْعُ المَقامَ؛ لِأنَّ المُحالَ إليْهِ، الاسمَ الموصولِ (مَنْ) يَحتمِلُ الجمعَ؛ فهوَ لفظٌ حرٌّ يحيلُ إلى فردٍ، أوْ أفرادٍ،[3] والإحالةُ، في الضّميرِ، نصيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى بعيدٍ؛ لِوجودِ جملٍ فاصلةٍ بينَ الضّميرِ ومرجعِهِ، وقدْ جاءَ مرجعُ الضّميرِ محَدَّدًا صريحًا.

---

[1] ينظر: الجزائريّ، أبو بكر، أيسر التّفاسير، ط3، راسم للدّعاية والإعلان، 1410هـ، 1990م، 231/5.

[2] ينظر: أبو حيّان، البحر المحيط، 196/8.

[3] ينظر: عفيفيّ، الإحالة في نحو النّصّ، ص 61.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

3. فُرُشُ الجنّتينِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ضميرٌ واحدٌ بارزٌ، بِصيغةِ الغائبِ المُفرد، وهوَ (ها) في قولِهِ: "متّكئينَ على فُرُشٍ بَطائنُها منْ إستبرقٍ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ مفردًا؛ كونَ المُحالِ إليْهِ جمعًا ممّا لا يعقلُ، وهذا جائزٌ في البِنيةِ العربيّةِ، والإحالةُ نصيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى قريبٍ، ومرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدٌ صريحٌ.

4. قاصراتُ الطّرفِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ الإشاريّ ضميرٌ بارزٌ، بِصيغةِ الجمعِ الغائبِ، تكرّرَ مرّتينِ، والضّميرُ هوَ (هُنَّ)، في قولِهِ: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ"، و"كأنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرجانُ"، والإحالةُ، في المرّتينِ، إحالةٌ نصّيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى قريبٍ، ومرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدٌ صريحٌ.

5. الثّقلانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ الإشاريّ ضميرانِ، كلٌّ منْهما مُكرّرٌ ثمانيَ مرّاتٍ، فيصبحُ عديدُ الإحالاتِ ستَّ عشْرةَ إحالةً، والضّميرانِ هما ألفُ الاثنينِ، وكافُ الخطابِ، في قولِهِ: "فبأيّ آلاءِ ربّكما تُكذّبانِ"، وقدْ جاءَتِ الضّمائرُ بارزةً، بِصيغةِ المُثنّى المُخاطَبِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، والإحالاتُ، هُنا، كلُّها نصّيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى بعيدٍ؛ بسببِ الفاصلِ الجمليّ، بينَ المُحيلِ، الضّميرِ، والمُحالِ إليْهِ (الثّقلانِ)، وجاءُ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

المحورُ الخامسُ (ب): الآياتُ (78-62)

يتناولُ هذا القسمُ، منَ المحورِ الخامسِ، بيانَ النِّعَمِ الّتي أنعمَ اللهُ بِها على عبادِهِ، ممَّنْ بَلَغوا درجةً في التّقوى أقلَّ منْ أصحابِ القسمِ الأوّلِ، منْ هذا المحورِ، وقدْ وَرَدَتِ الإحالاتُ الضّميريّةُ، في هذا القسْمِ، اثنتينِ وعشرينَ مرّةً، والعناصرُ الإشاريّةُ المُحالُ إليْها هيَ:

1. الجنّتانِ الأولَيانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ضميرٌ واحدٌ بارزٌ، بِصيغةِ الغائبِ المثنّى، تطابقًا معَ المُحال إليْهِ، وهوَ الضّميرُ (هما)، في قولِهِ: "ومِنْ دونِهما جنّتانِ"، وجاءَتِ الإحالةُ نصّيّةً قبليّةً ذاتَ مدًى بعيدٍ؛ فالجنّتانِ مَذكورتانِ، قَبْلًا، في القسمِ الأوّلِ، منَ المحورِ، فبذلكَ أحالَ الضّميرُ إلى مُحال إليْهِ مَذكورٍ في النّصّ، وجاءَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

2. الجنّتانِ الأُخريانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ثلاثةُ ضمائرَ، هيَ: الضّميرُ (هما)، في قولِهِ: "فيهما عينانِ نضّاختانِ"، والضّميرُ (هما)، في قولِهِ: "فيهما فاكهةٌ..."، والضّميرُ (هنَّ)، في قولِهِ: "فيهنَّ خَيْراتٌ حِسانٌ"، وكانَتِ الإحالةُ، في ثلاثةِ الضّمائرِ، بارزةً: الأوّلانِ بِصيغةِ الغائبِ المُثنّى، تطابقًا معَ لفظِ المُحالِ إليْهِ، الجنّتينِ، والضّميرُ الأخيرُ بِصيغةِ الغائبِ الجَمْعِ؛ لأنَّ كلَّ فردٍ مِنَ المُتّقينَ، كما ذكرْنا قَبْلًا، لَهُ جنّتانَ، فَصَحَّ أنَّها جِنانٌ كثيرةٌ، كما أنَّ كلَّ موضعٍ منَ الجنّتينِ جنّةٌ، والإحالاتُ كلُّها نصّيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى قريبٍ، ومرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدٌ صريحٌ.

3. الحورُ المَقْصوراتُ في الخِيامِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ ضميرٌ بارزٌ، بِصيغةِ الجمعِ الغائبِ، والضّميرُ هوَ (هنَّ)، في قولِهِ: "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ"، والإحالةُ نصّيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى قريبٍ، ومرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدٌ صريحٌ.

4. الثّقلانِ: أحالَ إلى هذا العنصرِ الإشاريّ ضميرانِ، كلٌّ منْهما مُكرّرٌ ثمانيَ مرّاتٍ، فيصبحُ عديدُ الإحالاتِ ستَّ عشْرةَ إحالةً، والضّميرانِ هما ألفُ الاثنينِ، وكافُ الخطابِ، في قولِهِ: "فبأيّ آلاءِ ربّكما تُكذّبانِ"، وقدْ جاءَتِ

الضّمائرُ بارزةً، بِصيغةِ المُثنّى المُخاطَبِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، والإحالاتُ، هُنا، كلُّها نصّيّةٌ قبليّةٌ ذاتُ مدًى بعيدٍ؛ بسببِ الفاصلِ الجمليّ، بينَ المُحيلِ، الضّميرِ، والمُحالِ إليْهِ (الثّقلانِ)، وجاءُ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا صريحًا.

5. الرّسولُ: أحالَ إليْهِ ضميرٌ واحدٌ، هوَ الكافُ، في قولِهِ: "تباركَ اسمُ ربّكَ"، وقدْ جاءَ الضّميرُ بارزًا، بِصيغةِ المُخاطَبِ المُفردِ، تطابقًا معَ المُحالِ إليْهِ، وقدْ جاءَتِ الإحالةُ مَقاميّةً؛ لِأنَّها أحالَتْ إلى غيرِ مَذكورٍ في النّصّ، فكانَ المُحالُ إليْهِ، الرّسولُ، واقعًا خارجَ النّصّ، ومنْ هُنا، كانَ مرجعُ الضّميرِ مُحَدَّدًا غيرَ صريحٍ.

أمّا الإحالاتُ الضّميريّةُ الواردةُ في المحورين، فأوّلُ ما يصادفُنا أنَّ عددَها، في القسمِ الأوّلِ منْ هذا المحور، أكثرُ منَ القسمِ الثّاني، وهذا مُسْهِمٌ، أيضًا، في نصّيّةِ النّصّ؛ فلمّا كانَتِ الجنّتانِ الأوليانِ خيرًا منَ الجنّتينِ الأخريينِ، جاءَتِ الإحالةُ الضّميريّةُ معَهما أكثرَ وأعلى.

وبالنّظرِ إلى الإحالاتِ الضّميريّةِ الخاصّةِ بِالثّقلينِ، في هذا المحورِ، بِقِسْمَيْهِ، نَجِدُ أنَّ عددَها اثنتانِ وثلاثونَ إحالةً، واللّافتُ أنَّ عددَها يفوقُ عددَ الإحالاتِ المحيلةِ إلى الثّقلينِ، في المحاورِ الأربعةِ السّابقةِ مُجْتَمِعَةً، وهذا ممّا يُسْهِمُ في انسباكِ النّصّ، وحَبْكِهِ دِلاليًّا؛ فالمتّقونَ، في الجنّةِ، يتقلّبونَ في نَعيمٍ حقيقيٍّ، يَفوقُ نعيمَ الدُّنيا، فلمّا كانَ النّعيمُ أكبرَ، كانَتِ الضّمائرُ المُحيلةُ أكثرَ، كما أنَّ في كثرةِ الإحالةِ، إلى الثّقلينِ، في هذا المحور، تأكيدًا لِلمجرمين على ما فاتَهمْ منْ هذا النّعيمِ؛ بِسببِ تكذيبِهمْ، فعندَما يَرَوْنَ أهلَ الجنّةِ يتقلّبونَ، في هذا النَّعيمِ المُقيمِ، فإنَّهمْ سَيَعَضّونَ أصابعَهمْ، نَدَمًا وخُسْرانًا مُبينًا، فقدْ أكثرَتِ الآياتُ منَ الإحالةِ، زيادةً في تقريعِهمْ وتوجيعِهمْ، وهُنا، يظهرُ أنَّ بنيةَ النّصّ لا يقتصرُ دورُها على التّماسكِ الظاهريّ لِلنّصّ، وإنّما لها دورٌ كبيرٌ في تماسكِهِ دلاليًّا.

أمّا الضّمائرُ المُحيلةُ إلى الجِنانِ، بِنَوْعيْها، فقدْ كانَتْ مَسْبوكةً، ومُسْهِمةً، في نصّيّةِ النّصّ، ومُناسِبةً لِلسّياقِ، فكانَ عددُها، في الجنّتينِ الفُضْلَيينِ، أكثرَ؛ فجاءَ الأكثرُ معَ الأفضلِ، كما نلحظُ أنَّ الضّميرَ، في قولِهِ: "ومِنْ دونِهما جنّتانِ"، أسْهمَ، في التّرابطِ، بينَ قسمَيِ المحورِ، فرَبَطَ بَيْنَ الجنّتينِ الأوليَيْنِ، والجنّتينِ الأُخريَيْنِ، وهذا مُسْهِمٌ وفاعلٌ في ترابطِ النّصّ، بعضِهِ بِبعضٍ، وقدْ جاءَتِ الضّمائرُ المُحيلةُ إلى الجنانِ كلُّها بارزةً؛ مناسَبةً لِلمَقامِ والسّياقِ، فنعيمُ الجنّتينِ بارزٌ أمامَ المتّقينَ، فناسبَ المَقامَ بروزُ الضّمائرِ.

وقدْ كانِتِ الضّمائرُ المُحيلةُ إلى الجنّتينِ، بِنوعَيْهما، بِصيغةِ المُثنّى، فلمّا جاءَ الحديثُ عنْ قاصراتِ الطّرفِ، في الجنّتينِ الأولَيَيْنِ، والحورِ المَقْصوراتِ في الخِيامِ، في الجنّتينِ الأُخْرَيَيْنِ، جاءَتِ الضّمائرُ المُحيلةُ إلى الجنّتينِ، كذلكَ، بِصيغةِ الجمعِ؛ لِلمناسبةِ بَيْنَ الجِنانِ، والنّساءِ القاصراتِ الطّرفِ، والحورِ المَقصوراتِ في الخَيامِ.

والإحالاتُ الضّميريّةُ إلى فُرُشِ الجنّتينِ، وحوريّاتِ الجنّةِ، والخَيْراتِ الحِسانِ، جاءَتْ أيضًا بِضمائرَ بارزةٍ؛ مناسَبةً لِلمقامِ؛ فقدْ أصبحَتْ هذهِ النِّعَمُ بارزةً لِلعيانِ، أمامَ المتّقينَ، يتنعّمونَ، فيها، نعيمًا حسّيًّا مَلْموسًا.

وقدْ جاءَتْ معظمُ الإحالاتِ ذاتَ مدًى قريبٍ، وهذا من شأنِهِ أنْ يُبْقِيَ المتلقّيَ موصولًا بالنّصّ، ممّا، يُفْضي، بالنّهايةِ، إلى تماسكِ النّصّ، حتّى الإحالاتُ ذاتُ المدى البعيدِ لمْ تَفْسَخْ نسيجَ النّصّ؛ كونَها تُحيلُ إلى عنصرٍ استقرَّ في ذهنِ المتلقّي، فجاءَتْ كلُّ الإحالاتِ، بأنواعِها العديدةِ، مُسْهِمةً في تماسكِ النّصّ.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

ولا بدَّ منَ الإشارةِ إلى عنصرٍ آخرَ، منْ عناصرِ نصّيّةِ النّصّ، وأقصدُ، بِهِ، المَقاميّةَ، هذا المعيارَ المتعلّقَ بمناسبةِ النّصّ لِلموقفِ،[1] فالموقفُ والمَقامُ يوضِحانِ بأنَّ الجنّتينِ الأولَيَيْنِ خيرٌ منَ الأُخْرَيَيْنِ، لِذلكَ؛ لَمّا تحدَّثَ التّعبيرُ القرآنيُّ عنْ نساءِ الجنّتينِ الأوليينِ، خَلَعَ عَلَيْهِنَّ صفاتٍ تُراعي المَقامَ، وكانَتْ أفضلَ منْ صفاتِ نساءِ الجنّتينِ الأخريينِ، فزادَ، في الأوليينِ، أنَّهُنَّ قاصراتُ الطّرفِ، يَحْجُبْنَ أنظارَهُنَّ عنْ غيرِ أزواجِهنَّ، لكنْ لمْ تَرِدْ هذهِ السّمةُ، في وصفِ نساءِ الجنّتينِ الأخريينِ، كما أنَّ الأوليينِ فيهما منْ كلِّ فاكهةٍ زوجانِ، أيْ: أنَّهما تشتملانِ على كلِّ صُنوفِ الفاكهةِ، أمّا الأخريانِ، فتشتملانِ على نَخْلٍ ورُمّانٍ، وفي الأوليينِ عينانِ تَجريانِ، وهذا أعلى منْ كونِهما نضّاختينِ، في الجنّتينِ الأخريينِ، وبذلكَ، نُقَرِّرُ، كما سبقَ، غيرَ مرّةٍ، أنَّ معاييرَ النّصيّةِ تتضافرُ؛ لِتجعلَ منَ الحَدَثِ الكَلاميِّ نصًّا مَحْبوكًا ذا نصّيّةٍ عاليةٍ، شكلًا، ودِلالةً.

وما أبلغَ الضّميرَ الّذي اخْتُتِمَ، بِهِ، نصُّ السّورةِ الكريمةِ، وهوَ الكافُ، في قولِهِ: "تباركَ اسمُ ربِّكَ"، وهوَ مُحيلٌ إلى خارجِ النّصّ، أيْ: أنَّ الإحالةَ مَقاميّةٌ خارجيّةٌ، فالمُحالُ إليْهِ، الرّسولُ، وقعَ خارجَ النّصّ، وقدْ جاءَتْ هذهِ الإحالةُ؛ لِتربطَ نصَّ هذهِ السّورةِ، بِنُصوصِ السُّوَرِ جميعِها؛ تأكيدًا على أنَّ القرآنَ كلَّهُ نصٌّ واحدٌ، فالخِطابُ، في القرآنِ، مُوجَّهٌ لِلرّسولِ، لِيبلّغَ، بِدوْرِهِ، جميعَ العِبادِ، وقدْ جاءَ هذا الضّميرُ، في نهايةِ هذا المحورِ الّذي يتحدّثُ عنْ نَعيمِ الآخرةِ؛ لِيربطَ بينَ نَعيمِ الدُّنيا والآخرةِ، ففي الانتهاءِ منْ الحديثِ عنْ نَعيمِ الدُّنيا، جاءَ هذا الضّميرُ نفسُهُ، كذلكَ، في قولِهِ: "ويبقى وجْهُ ربِّكَ ذو الجَلالِ والإكرامِ"، فيا محمّدُ، بلّغْ أنَّ نعيمَي الدُّنيا والآخرةِ مَرهونانِ باللهِ المَليكِ المُقتدرِ وحدَهُ.

الخاتمةُ

بعدَ هذهِ الوَقَفاتِ العِلميّةِ، على دَوْرِ الإحالةِ الضّميريّةِ، في سورةِ الرّحمنِ، بِوصفِها مَظْهَرًا، أوْ لِنقلُ: عنصرًا، منْ عناصرِ التّرابطِ النّصّيِّ، فإنَّنا نخلص إلى النّتائجِ الآتيةِ:

- تُعَدُّ لِسانيّاتُ النّصّ مَرحلةً انتقاليّةً منْ محوريّةِ الجملةِ في الدّراسةِ، إلى عَدِّ النّصّ الوَحدةَ المركزيّةَ الكُبرى؛ فلا يمكنُ فهمُ الدِّلالةِ معزولةً عنْ سِياقِ النّصّ الّذي وُضِعَتْ فيهِ.
- التّماسكُ النّصّيُّ شرطٌ أساسٌ للتّعرّفِ إلى ما هوَ نصٌّ، ممّا ليسَ نصًّا.
- كانَ للإحالةِ، ولا سيَّما الضّميريّةُ، دوْرٌ بالغٌ في تحقيقِ السَّبْكِ، المُفْضي إلى الحَبْكِ، أيِ: التّماسكِ الدِّلاليّ، فالإحالاتُ الضّميريّةُ المُحيلةُ إلى عنصرٍ سابقٍ، وردَتْ دونَ وجودِ لَبسٍ في المعنى، أو لَبسٍ في عَوْدِ الضّميرِ؛ بِسببِ داخليّةِ الإحالةِ، وقربِ مداها، ومحدوديّةِ مرجعِ الضّميرِ فيها وصراحتِهِ، الأمرُ الّذي جَعَلَ منْ سورةِ الرّحمنِ نصًّا مسبوكًا نحويًّا ودِلاليًّا.
- وافَقَتْ ضمائرُ الإحالةِ، في سورةِ الرّحمنِ، العناصرَ المُحيلةَ إليْها، عددًا وجنسًا، أيْ: إفرادًا وتثنيةً وجمعًا، منْ جهةٍ، وتذكيرًا وتأنيثًا، منْ جهةٍ أخرى، وهذا مَظهَرٌ منْ مظاهرِ تماسكِ النّصّ، وارتباطِ المتلقّي بِهِ، فلا يشعرُ بِانفكاكٍ في بِنيتِهِ، وقدْ أدّى ذلكَ كلُّهُ إلى تماسكِ الدِّلالةِ، وتكاملِها في النّصّ القُرآنيّ، وفي الحالاتِ الّتي

[1] ينظر: النّوريّ، لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب، ص 333.

خَرَجَتْ فيها الضّمائرُ عنْ مُطابقةِ العناصرِ المُحيلةِ إليْها، كانَ لِأغراضٍ مَقاميّةٍ استدعاها السِّياقُ، إنباهًا على عظمةِ الخالقِ، مثلًا، وجبروتِهِ، واقتدارِهِ.

- كانَ مجيءُ الضّمائرِ الإحاليّةِ، بارزةً، أو مستترةً، بِصيغة الخِطابِ، أوِ الغيابِ مُرتبِطًا، كما أوْضحَ مَتْنُ الدّراسةِ، بِمَقامِ النّصِّ وسِياقِهِ، فمثلًا، القرآنُ كلُّهُ خِطاب لِلرّسولِ، فالرّسولُ هوَ المُخاطَبُ الرّئيسُ، ولِذلكَ؛ جاءَ الضّميرُ المُحيلُ إليْهِ، بِصيغةِ المخاطَبِ المفردِ، في قولِهِ: "ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام"، وفي قولِهِ: "تبارك اسم ربّك ذي الجلال والإكرام".
- بَرَزَتِ الضّمائرُ المُحيلةُ إلى اللهِ، والإنسِ والجانّ، أكثَرَ منْ غيرِها، وهذا لَهُ عَلاقة بِسِياقِ النّصِّ القرآنيّ؛ فالسِّياقُ الكُلّيُّ، لِسورةِ الرّحمنِ، هوَ بيانُ قدرةِ الرّحمنِ، المليكِ المقتدرِ، الّذي أنكرَهُ المُشركونَ، وبيانُ كَثيرَ النِّعَمِ التّي تفضّلَ بِها على الإنسِ والجِنّ، فكانَ أمرًا لازمًا وفرةُ الضّمائرِ المُحيلةِ إلى هذينِ العنصرينِ؛ كونَهما نَواتَي النّصّ، وهذا كلُّهُ يجعلُ النّصَّ، بِسَبْكِهِ وحَبْكَهَ، نصًّا كاملَ النّصّيّةِ.
- كَشَفَتِ الإحالةُ الضّميريّةُ عنْ جانبٍ كبيرٍ منْ جوانبِ إعجازِ القرآنِ، وفصاحتِهِ، وبلاغتِهِ؛ فقدْ جاءَتْ كلُّ مفردةٍ، في نصّ السّورةِ، الّتي هيَ جزءٌ منْ نصّ القرآنِ المتكاملِ، أقولُ: جاءَتْ كلُّ مفرداتِهِ عاشقةً مكانَها، الّذي لا تصلحُ في غيرِهِ، ولا يصلحُ بدلًا منْها غيرُها، فمفرداتُ القرآنِ يستدعيها السِّياقُ والمَقامُ.
- كَشَفَ نصُّ السّورةِ عنْ أنَّ مَعاييرَ نصّيّةِ النّصّ تتضافرُ جميعُها، أوْ بعضُها، معًا، لِلإسهامِ في تماسكِ النّصّ، فعلى الرّغمِ منْ أنَّ البحثَ مُنْعَقِدٌ على الإحالةِ الضّميريّةِ، فقدْ كانَتْ بعضُ المَعاييرِ الأُخرى حاضرةً، وفاعلةً في تشكيلِ نصّيّةِ النّصّ، ولا سيَّما التّناصُّ، والمَقْبوليّةُ، والإعْلاميّةُ، والمَقاميّةُ.

قائمة المصادرُ والمراجعُ

- إسماعيل، نائل محمّد، **الإحالة بالضّمائر ودورها في تحقيق التّرابط في النّصّ القرآنيّ**، مجلّة جامعة الأزهر، العدد 1، المجلّد 13، غزّة، 2011.
- بحيري، سعيد:

– **دراسات تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة**، مكتبة زهراء الشّرق.

– **دراسات لغويّة تطبيقيّة في العلاقة بين البنية والدّلالة**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2005.

– **علم لغة النّصّ، المفاهيم والاتّجاهات**، الشركة المصريّة العالميّة، 1997.

- البقاعيّ، برهان الدّين إبراهيم بن حسن، **نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور**، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة.
- الثّنيان، نوال بنت سلمان، **الإحالة الضّميريّة في اللّغة العربيّة: مقاربة تطبيقيّة في ضوء نحو النّصّ: مقالات خالد المالك في الحوار والاختلاف أنموذجًا**، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، المجلّد الثّالث عشر، العدد الثّالث، 2010.
- الجزائريّ، أبو بكر جابر، **أيسر التّفاسير لكلام العليّ الكبير**، ط3، راسم للدّعاية والإعلان، 1990.
- حسّان، تمّام:

– **اجتهادات لغويّة**، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 2007.

– **البيان في روائع القرآن**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2002.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022

- **اللّغة العربيّة معناها ومبناها**، ط4، عالم الكتب، القاهرة، 2004.
- **نحو الجملة ونحو النّصّ**، محاضرة ألقيت ضمن النّشاط الثّقافيّ لمعهد اللّغة العربيّة بجامعة أمّ القرى، 1414هـ، مقال غير منشور.

- حشايشي، زهور، **ثنائية الاتساق والانسجام في قصيدة (قدر حبه) لمحمد جربوعة**، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2006.
- أبو حيّان، محمّد بن يوسف الأندلسيّ، **البحر المحيط**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
- خطّابيّ، محمّد، **لسانيّات النّصّ: مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، 2006.
- الدّاوودي، زاهر مرهون، **التّرابط النّصّيّ بين الشّعر والنّثر**، ط1، دار جرير، عمّان، 2010.
- دي بوجراند، روبرت، **النّصّ والإجراء والخطاب**، ترجمة: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، 1998.
- الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة، 1957.
- الزّمخشريّ، جار الله محمود بن عمر، **الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، تخريج: خليل مأمون شيحا، ط3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 2009.
- الزّنّاد، الأزهر، **نسيج النّصّ: بحث ما يكون به الملفوظ نصًّا**، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، ط1، 1993.
- السّامرائيّ، فاضل، **معاني النّحو**، ط2، دار الفكر، عمّان، 2003.
- أبو السّعود، محمّد بن محمّد العماديّ، **إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار إحياء التّراث العربيّ.
- السّيوطيّ، جلال الدّين:

- **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، 2003.
- **تناسق الدّرر في تناسب السّور**، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986.

- الشّريف المرتضى، عليّ، **أمالي المرتضى غرر الفوائد ودُرَر القلائد**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربيّة، 1954.
- الشّعراويّ، محمّد متولّي، **تفسير الشّعراويّ**، الأزهر، مجمع البحوث الإسلاميّة، مطابع أخبار اليوم.
- الصّبيحيّ، محمّد الأخضر، **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ط1، منشورات الاختلاف، 2008.
- الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل القرآن**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف وعصام فارس الحرشاني، ط1، مؤسّسة الرّسالة، 1994.
- ابن عاشور، محمّد الطّاهر، **تفسير التّحرير والتّنوير**، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، 1984.
- عبد الجليل، عبد القادر، **الأصوات اللّغويّة**، ط1، دار صفاء، عمّان، 1988.
- عفيفي، أحمد:

- **الإحالة في نحو النّصّ**، مكتبة زهراء الشّرق، (د. ط)، (د. ت).
- **نحو النّصّ: اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ط1، مكتبة زهراء الشّرق، القاهرة، 2001.

- عليّ، محمّد، **قضايا في اللّغة واللّسانيّات وتحليل الخطاب**، ط1، دار الكتاب الجديد المتّحدة، 2013.
- أبو عودة، ماجدة، **التّماسك النّصّيّ في قصّة داود وسليمان في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلاميّة، غزّة، فلسطين.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، **معجم مقاييس اللّغة**، تحقيق: عبد السّلام هارون، دار الفكر، 1979.
- فجّال، أنس، **الإحالة وأثرها في تماسك النّصّ في القصص القرآنيّ**، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، إصدارات نادي الإحساء الأدبيّ، 2013.
- الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق: دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة**، ط1، دار قباء، القاهرة، 2000.
- المؤيّد بالله، يحيى بن حمزةَ العلويّ، **الطّراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ط1، المكتبة العصريّة، بيروت، 1423هـ.
- مجمع اللّغة العربيّة، **المعجم الوسيط**، المكتبة الإسلاميّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع.
- ابن منظور، أبو الفضل محمّد بن مكرم، **لسان العرب**، ط3، دار صادر بيروت، 1414هـ.
- النّوريّ، محمّد جواد:

– **علم أصوات العربيّة**، ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 1996.

– **لسانيّات النّصّ وتحليل الخطاب**، تقديم: سعد مصلوح، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2020.

- ابن هشام، أبو محمّد جمال الدّين عبد الله بن يوسف، **مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: مازن المبارك ومحمّد علي عبد الله، ط6، دار الفكر، دمشق، 1985.
- ياسر، خليل، **التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللّسانيّ للخطاب**، ط1، دار جرير، 2009.
- ابن يعيش، أبو البقاء علي، **شرح المفصّل**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2001.

@جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي والابتكار/ جامعة الزيتونة الأردنية 2022